

روايات مصرية للجيب
زهور
98
الحائرة
Looloo
www.dvd4arab.com

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

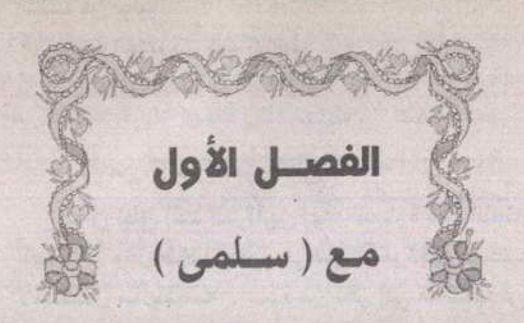
إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الاحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف



الفصل الأول

مع (سلمى)

مع (سلمى) .. اقتربت أكثر وأكثر من عالم أحبته ..

مع (سلمى) .. عشقت صوت فيروز وشعر نزار ..

مع (سلمى) .. تعلمت الكثير والكثير ..

مع (سلمى) .. وجدت شيئًا ضاع منها .. كانت تبحث عنه فى حياتها ، ولم تجده سوى مع (سلمى) ..

الثالث من يوليو
جامعة القاهرة ـ كلية الآداب
آخر امتحانات السنة النهائية ..

« باق من الزمن خمس دقائق . . » .

بعد أن نطق أحد المراقبين بهذه العبارة ساد اللجنة الصمت ، وكل طالب يحاول فى سرعة مراجعة ما كتب لاستكمال ما ينقصه ، منهم من نظر إلى ما كتب فى عدم رضا فيه شىء من الاستسلام قائلاً لنفسه : « ليس فى الإمكان أفضل مما كان » ، ومنهم من نظر إلى ورقته فى شىء من الرضا والقبول وتنهد فى ارتياح فبتلك الإجابات التى خطها على هذه الأوراق يكون قد أنهى آخر خطوة نظرية فى مشواره العلمى ؛ ليبدأ بعد ذلك خطوات مشواره العملى فى الحياة ، ومنهم من نظر إلى ورقته فى غير اهتمام ربما ثقة فى النجاح أو الرسوب .

ومرت الدقائق الخمس فى صمت تلاه شىء من الضجيج وقت جمع أوراق الإجابة من الطلبة ومغادرتهم لجان الامتحان ، ومرت دقائق يتحدث فيها

الجميع خارج اللجان عن الامتحان والإجابات وما توقعه البعض منه وما لم يتوقعه أحد ، ومع مرور الوقت نسى الجميع الامتحان ؛ ليتذكروا أن هذا آخر يوم يجمعهم معًا فى كليتهم التى قضوا على أرضها أربعة أعوام ما بين المحاضرات والمكتبة وأوقات حلوة تجمعهم وأنشطة مختلفة يشتركون فيها .

ووحدها كانت هى ، نظرت إلى ورقة الأسئلة بعد أن خرجت من لجنة الامتحان وراجعت ما تتذكر أنها قد كتبته فى ذهنها فى سرعة ، ثم طوت الورقة ووضعتها فى حقيبة يدها ، ثم راحت تودع زميلاتها وزملاءها . .

وحدها كانت هى أرق من أن يُقارن جمالها بجمال مثيلاتها ، منهن من كانت ذات جمال فاتن أخاذ يأخذ عينيك ويخطف بصرك إليه فى لحظات ، ولكنه كالبريق ما إن تلتفت إليه لحظة حتى تشعر بأنك لا تقوى على النظر إليه طويلاً ، ومنهن من كانت تملك جمالاً باهتًا تحاول من تملكه أن توضحه باستعمال أدوات الزينة ومساحيق التجميل ، ومنهمن من تُخفى تواضع حظها من الجمال بصبغ شعرها وتصفيفه حسب أحدث صيحة ، والتعطر بأغلى العطور ، أما هى . . فهى تملك جمالاً

منفردًا ، جمالاً هادئًا وديعًا من منهن تتعطر بهذا العطر الناعم الهادئ الذى يبدو وكأنه ينبع منها هى . . وكأنها زهرة تفوح به ، وهى تبدو حقًا وسطهن كزهرة جميلة ساحرة . . زهرة طبيعية وسط باقة من الورد المصنّع ، تجذبك إليها من أول لحظة تراها فيها ، تجذبك لتلمسها . . لتتشمم عطرها ، وما إن تلمسها حتى تدرك أنها تختلف . .

من منهن ترتدى تلك الملابس البسيطة المريحة وتترك شعرها منسدلاً على كتفيها فى نعومة ؟ من منهن تسير بهذا الهدوء الصامت الرصين ؟ كل شىء فيها يدعوك للارتياح . . للاطمئنان حتى ضآلة جسدها تزيدها رقة ووداعة ، فكأن ذلك الجسد الضئيل يدعوك أن تأخذ بيده ، ترشد خطواته ، تتحمل مسئوليته ، تحتويه ، أما بريق عينيها فيأخذك لعالم تتوه وسطه ، تُفتن به . . تعود من ذلك العالم لتسأل نفسك : « أين كنت ؟ » . . وتحتار ما بين هذا الكم من الشعور بالأمان والثقة والارتياح الذى تمنحه لك عيناها وبين ضآلة جسدها التى تعلن أن تلك المخلوقة الصغيرة تبحث عن شىء ما . . عن شخص ما تحتمى به . . فتتمنى لو تقترب أكثر من تلك الساحرة الصغيرة لتعرف عنها الكثير . . ربما تعرف ما الذى يشدك إليها تحديدًا . .

وهى تودع زميلاتها تشعر أنها فراشة تنتقل بين أزهار كثيرة الألوان ، ولكنها تملك ألوانًا أكثر ، ألوانًا امتزجت ببعضها فى نسب خاصة لتصير لونًا واحدًا ساحرًا . . لونًا يحوى كل الألوان . .

ترى هل تحسدها زميلاتها على هذا الجمال الذى تنفرد به وسطهن ؟! تتابعها وهى تتنقل وسطهن وترى كيف يضحكن لها ببشاشة ويحدثنها بود ويودعنها فى حب ، وهى تبتسم لهن فى ود وصفاء وتودعهن وتسرع إلى سيارتها الرياضية الصغيرة داخل الحرم الجامعى ، وتتوقف عندما تلتقط أذناها هذا النداء :

« آنسة (ندى) . . آنسة (ندى) . . » .

فتستدير إليه وما إن تراه حتى يختفى بريق عينيها ، وتتلاشى ابتسامتها وتتوه منها ، وتقول فى حروف بطيئة :

ـ دكتور (جلال) أهلاً بك . .

ولا يلحظ هو كل ذلك ، لا يرى ما ضاع منها فى لحظة واحدة ، ربما لأنه لم يرها فى اللحظات السابقة ، ربما لأن لهفته التى تبدو واضحة على ملامح وجهه لم

تجعله يلحظ هذا التغير فى ملامحها هى . . وتعلن تلك اللهفة عن نفسها فى كل حرف من حروف سؤاله لها :

ـ أين (سلمى) ؟؟ لقد توقفت عن الكتابة إلىَّ منذ عامين . . حاولت أن أبحث عنها فور وصولى ، ولكننى لم أصل إلى شىء . . ثم تذكرتك وها أنا ذا آتى إليك لأسألك أين هى ؟!

ومع سؤاله يعود بريق عينيها ، ولكنه يعود حاملاً دموعًا حزينة . . دموعًا تتكون فى بطء مع ارتعاشة شفتيها وهى تحاول النطق بشىء . . أى شىء ولكنها لا تستطيع ، تختنق الحروف على طرف لسانها وتموت الكلمات ، وهو لا يزال يسألها :

ـ أرجوك أين هى ؟؟

ـ « لقد رحلت . . رحلت . . » .

هل هى من نطقت بها . . أم دموعها ؟ لا تعرف كيف قالتها . . ووسط حيرته هو ولهفته لا يعى هو ما يسمع . . لقد نطقت بعبارتها فى سرعة وبحروف تائهة وها هو لا يصدق ما تقوله . . وها هى لا تحتمل أن تراه وهو يعرف أنها رحلت . . لم تتحمل أن

تبقى معه أكثر من ذلك فتسرع إلى سيارتها لتغادر المكان كله . .

أوقفت سيارتها فى جانب الطريق ، أرهقها هذا الجو الحار الخانق ، احترقت عيناها من كثرة البكاء ، واحتاجت للحظات قليلة تستريح فيها . . لقد تألمت كثيراً وهى ترى دكتور (جلال) يسأل عنها . . وفجأة تراها !! يرتج كيانها كله لرؤيتها . . تلك الطفلة ذات الأعوام الثمانية تعبر الطريق غير منتبهة لتلك السيارة المسرعة فى اتجاهها . . وفى سرعة خارقة تغادر (ندى) سيارتها وتصرخ محذرة « احترسى » فتتراجع الطفلة ، ولكن تراجعها لم ينقذها . . فهاهى تصطدم بطرف السيارة فتلقى بها على الطريق فاقدة الوعى ، وتسرع (ندى) إليها ويلتفت بعض المارة إلى ما حدث ويتجمعون حولها . . ويحملها أحد الواقفين ، وهو يقول :

ـ حمداً لله ها هى تستعيد وعيها . .

وتسأله (ندى) فى خوف :

ـ افحصها من فضلك . . هل هناك أى نزيف أو جروح برأسها . .

ويهدأ قلب (ندى) وهى تسمع الطفلة تتأوه وهى تفيق ، والرجل الذى يحملها يقول :

ـ سأحملها إلى منزلها . .

وتسأله (ندى) :

ـ هل تعرفها ؟؟

ـ نعم إنها (جميلة) بنت (الحاج عبد السلام) صاحب المطبعة ،و . . .

ولا تستمع (ندى) إلى باقى حديث الرجل وهى تلتفت إلى ذلك الشاب الذى راح يقترب من هذا التجمع حول الطفلة فى غرور وصلف ، ثم يلقى نظرة لا مبالية عليها ، ثم يخرج من حافظة نقوده بعض الأوراق المالية ويضعها فوق جسد الفتاة التى لازال ذلك الرجل يحملها بين يديه ، ويقول :

ـ أعتقد أن هذا المبلغ كاف لعلاجها هذا لو احتاجت للعلاج . .

ويستدير لينصرف وسط نظرات الواقفين التى تعبر عن امتعاضهم من موقفه ، لقد انشغلوا بالفتاة حتى نسوا أن يلتفتوا إلى المتسبب فيما حدث لها ، وتحرك أحد

الرجال الواقفين وأمسك بالأموال وأسرع إليه قبل أن يدير محرك سيارته وألقى بها فى وجهه قائلاً فى احتقار :

ـ فلتوفر أموالك لنفسك ، إن سلامة الفتاة تعنى عندنا الكثير جداً ، أكثر من أموال شاب مستهتر عابث مثلك .

وكما توقعت (ندى) من شاب مثله ، لقد أدار محرك سيارته وانطلق بها فى سرعة غير مهتماً بما حدث ، وبما حملته كلمات الرجل من إهانة واحتقار له . . ومن كل قلبها تمنت لو أنها رأت ذلك الشاب ثانية لتعطيه درساً فى احترام حياة الآخرين . . إن ما فعله هذا الشاب أثار داخلها الشعور بالضيق والاختناق أكثر وأكثر . .

وهى تستقبلها لدى عودتها من الكلية ، شعرت عمتها أن شيئاً ما تغير بها تدرك أن ذلك الحزن قد صار مقيماً فى عينيها طوال الوقت ، ولكن يبدو أن هناك من أيقظه من جديد ، وسألت نفسها : ترى من أو ماذا ذكرك بها من جديد يا (ندى) ؟؟ ولأنها أم ولأنها تخاف على ابنة أخيها لم تستطع أن تمنع نفسها من سؤالها فى حنان صادق :

ـ ماذا بك يا (ندى) ؟

- لا شىء يا عمتى ، إنها الامتحانات كما تعلمين .

وبرغم إنها حاولت أن تبدو هادئة مبتسمة وهى تحدث عمتها ، إلا أن تلك الإجابة وتلك الملامح التى لا تعرف الكذب لم تستطع خداع عمتها ، فعادت تسألها من جديد :

- ماذا هناك يا (ندى) ؟! هل كنت تبكين ؟

هذه المرة لم تستطع أن تجيب .. ولم تحاول أن تبتسم وهى تقول بوجه خال من أى تعبير :

- سأنام قليلاً وعندما أستيقظ سأكون على ما يرام - إن شاء الله - .

ألقت بحقيبتها على طرف الفراش ورفعت بصرها لتلك الصورة المعلقة على الحائط المواجه للفراش ، صورة لفتاة فى العشرين من عمرها ، ابتسامتها تشبه كثيراً ابتسامة الموناليزا الشهيرة .. ابتسامة صغيرة ، ولكنها تُرى من كل جانب .. صغيرة ولكنها تحمل الكثير من الهدوء والراحة والأمان .. يتألق لون عينيها الأخضر الداكن مع لون شعرها الأسود اللامع ويبرز فى وضوح لون بشرتها البيضاء الصافية الناعمة ، يتوسط ذلك الوجه أنف صغير دقيق يتناسب مع كل الملامح الرقيقة ليشترك فى صنع لوحة اسمها « جمال حزين » .

وقفت (ندى) أمام تلك الصورة وعيناها تحملان الكثير من الحب والإعزاز ممتزجين بحزن أليم ، وتقول :

- كم أفتقدك يا (سلمى) ..

وتلقى بنفسها على فراشها ولازال بصرها معلقًا بتلك الصورة .. ووجدانها يسبح هناك .. فى سماء الذكريات .. ذكريات السنوات الماضية حيث كانت (سلمى) لا تزال هناك تشغل جزءاً كبيراً من وجدانها وحياتها ...

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحًا عندما سمعت (ندى) طرقات سريعة على باب شقتهم ، فأسرعت فى خوف إلى حجرة والدها الذى كان قد استيقظ على صوت تلك الطرقات مثلها .. وبنظرة متسائلة وجد الوالد (ندى) تقف أمامه ، فغادر فراشه سريعًا واتجه ليفتح باب الشقة فى شىء من الحذر الذى تلاشى تمامًا حين وجد (سلمى) أمامه .. فتاة فى حوالى العشرين من عمرها .. متوسطة الطول هادئة الملامح .. رقيقة .. وإن كانت تلك الملامح الهادئة قد حملت كثيراً من التناقض مع ذلك القلق الذى تنطق به ، وهى تحدثه فور أن فتح الباب :

- آسفة لإزعاجكم فى هذا الوقت .. ولكننى أحتاج لاستخدام الهاتف .. فأخى مريض ووالدى مسافر وأود أن اتصل بطبيب و ...

وقبل أن تكمل حديثها كان والد (ندى) قد أسرع إلى الداخل ينادى أخته الطبيبة ، بينما وقفت (ندى) مع (سلمى) ، وهى تقول لها فى ابتسامة حلوة :

- اطمئنى.. اطمئنى.. عمتى تقيم معنا وهى طبيبة.. لحظات وستكون فى شقتكم ..

حين رأت (ندى) (سلمى) ، استوقفتها أشياء كثيرة .. ربما قلقها على أخيها وذلك الحنان الذى تحوطه به ، وتصرفاتها وكأنها أم له .. وربما هو شىء خفى ذلك الذى جذبها إليها .. وتمر الأيام وينمو شىء بينهما .. شىء قوى .. جميل وخاص جداً ..

كانت (ندى) ابنة لتاجر يمتلك تجارة صغيرة ولكنها ناجحة يديرها عبر محل صغير فى المعادى .. كان قدرها أن يختطف القدر منها والدتها وهى بعد فى الثالثة من عمرها ورفض الأب أن تسافر ابنته لتقيم مع

خالتها بالإسكندرية لتتربى مع ابنائها .. رفض أن تبتعد عنه .. إنها كل من بقى له فى هذا العالم بعد رحيل زوجته .. تحمل ملامحها وروحها بين ملامح وجهها الصغير .. من يؤنس وحدته بعد سفرها ؟!

وتمر الأعوام .. وتأتى عمتها لتقيم معهما عدة شهور كل عام ، فهى تقسم عامها ما بين مصر وأمريكا حيث يدرس ابنها وتعد هى رسالة الماچيستير حتى تستقرنهائيًا فى مصر تاركة ابنها ليكمل دراسته هناك وتتفرغ هى لتجهيز عيادة ومستشفى صغير لتعمل به وتديره .. ورغم انشغالها بعملها ودراستها كانت تحاول دومًا أن تعوض (ندى) حنان الأم ورعايتها ..

أما (سلمى) فقد عاشت ظروفًا تشبه حياة (ندى) .. وربما هى حياة أصعب منها .. فقد عاشت (سلمى) مع والدتها حتى بلغت العاشرة ، ثم رأتها وهى تموت أمام عينيها بعد أن ظلت تقاوم المرض والألم .. ألم المرض وألم العلاج منه ، وتنتهى مقاومتها للمرض بانتهاء حياتها لتترك لزوجها طفلة فى العاشرة من عمرها وصبيًا فى الثالثة عشرة من عمره ليتحمل مسئوليتهما .. وربما لتتحمل تلك الصغيرة مسئولية أبيها وأخيها ..

وتمر السنوات وتعتاد (سلمى) أن تكون الأم لأخيها ، وتكون ربة منزل لذلك البيت الذى يضمهم جميعًا ، فهى مسئولة عن كل شىء فيه ، وهى سعيدة بهذه المسئولية راضية بها ، يسعدها أن ترتب المنزل ، وتعد ملابس والدها وتطهى الطعام وتقدمه لهما وتستذكر دروسها وتتفوق فى دراستها ولا تشعر بشىء ينقصها وهى إلى جوارهما . .

عندما التقت (ندى) بـ (سلمى) . . كانت تعبر منحنى خطرًا فى حياتها ، كانت تخطو نحو الثامنة عشر من عمرها ، تقضى معظم أوقاتها وحيدة بالمنزل ، تكره الخروج وحدها ، لا تحب الذهاب إلى النادى بمفردها ، لا يشغل وقتها أى شىء مما يشغل وقت (سلمى) فوالدها يوفر لها الخادمة والطباخ ، وهى لا تفعل شيئًا إلا الإشراف عليهما وتنظيم أعمالهما ، أما عمتها ـ فحتى بعد استقرارها فى مصر ـ تقضى معظم أوقاتها بعملها ، إما فى المستشفى صباحًا أو بالعيادة مساءً .

« يا إلهى كل تلك الكتب قرأها والدك !! » .

قالتها (ندى) وهى تساعد (سلمى) فى ترتيب الكتب على أرفف المكتبة بعد أن أخرجتها من صناديقها ، فتحدثها (سلمى) :

ـ لا بالطبع إلا ما يتحدث عن الميكنة الزراعية وبعض كتب التفسير والأحاديث ، أما باقى تلك الكتب فجزء كبير منها يخص والدتى ـ رحمها الله ـ والباقى اشتريته أنا . . فأنا أحب القراءة جدًا ، لا أتخيل يومًا يمر دون أن أقرأ فيه .

وتصمت لحظات ، تغيب عيناها فى عالم قديم . . بعيد ولكنه عالم حلو . . سعيد ، وهى تقول :

ـ لقد علمتنى والدتى حب القراءة منذ كنت فى الرابعة من عمرى ، كانت تجلس إلى جوارى ممسكة بكتب مصورة ، بها حكايات مسلية وتقرأ لى ، وعندما صرت فى السادسة أهدتنى أول قصة لأقرأها وحدى وتناقشنى فيما قرأت حتى صار حب القراءة يجرى فى دمى . .

تنظر (ندى) إليها وهى تتحدث عن والدتها وتسأل نفسها . . ترى أيُهما أشقى ؟ أيهما أكثر سعادة ؟ هى التى لا تجد فى ذاكرتها شيئًا عن والدتها إلا صورًا

شاحبة بعيدة مشوشة .. أم (سلمى) التى تذكر سنوات كاملة عاشتها مع والدتها .. تأثرت بها تذوقت من حنانها الكثير ، ثم تعذبت لرحيلها ، وتسألها :

ـ أتتذكرين الكثير عن والدتك ؟؟

ـ أمـى .. كم أحبهـا ، علمتنـى الكثيـر ، وأول مـا علمتنى هو حب الخير لكل من حولى والعمل على راحـة من أحب ، وكأنهـا تشعر أنهـا سترحل لتتركنى أتحمل مسئولية كبيرة ، فكانت تعلمنى كل شىء وكنت أنا أسـعد بهـا وبما تعلمـه لى ، أشـعـر بسعـادة وأنا أسـاعدها فى أعمـال المنزل وأنـا أقف إلى جوارها فى المطبخ تعلمنى الأصناف التى يحبها أبى و . . .

وتقطع حـديثـهـا ،وهى تلحظ تلك النظرة الحـزينة المتألمة فى عينى (ندى) وتسألها :

ـ وأنتِ يـا (نـدى) ألا تتــــذكـريـن أى شىء عن والدتك ـ رحمها الله ـ ؟

تحـاول (ندى) أن تجـد مـا تتذكـره .. تحـاول أن ترسم ابتسامة على شفتيها وهى تجيبها :

ـ أحيانًا كنت أسأل والدى عنها .. فكان حديثه عنها يأتى مليئًا بالحب والاحترام ، وهو يقول لـى : « كانت والدتك سيدة عظيمة .. تحب بيتـها وزوجـها وتحبك بشـدة ، كـانت تحلم أن تنجب لك أخًـا مـعـتـقـدة أنك تحـتـاجين لـذلك ، وبرغم تحـذيـرات الأطبـاء لهـا من محاولة الحمل مرة أخرى .. إلا أنها لم تستطع مقاومة ذلك الحلم .. وتفـارق هى الحـيـاة ثمنًا لهـذا الحلم وهى تهبك أخًا وتهبنى ابنًا ، ولكن حتى هذا الحلم هذا الجنين الصـغير الذى تركتـه لنا لم يحتمل الحيـاة دونهـا ورحل عنًا لاحقًا بها هى ؛ لنبقى أنا وأنت معًا .. ووحدنا .. فهذا قدرنا »

كان حديثـه لى يحمل إيمانًا قويًا بهـذا القدر ، ولهذا لم يفكر فى الزواج ثانيـة وصـار كل مـا يهمـه أن تتسع تلك التجارة التى يديرها لتصبح تجارة كبيرة ناجحة ..

وتصمت لحظات وترتسم نظرة حزن عميقـة داخل عينيها ، وهى تقول :

ـ أحـيـانـًا كنت أتمنى لو أنـه تزوج ليكون لى أخـوة وأخـوات حتـى لو عـاملتنى زوجـة أبى بقـسـوة كنت سأفرح لأن هناك لى أخوة هم أخوتى مهما حدث و . . .

وتفر من الحديث عن ذكرياتها .. وتجول بعينيها فى الحجرة ، وتقول :

- جميل منزلكم يا (سلمى) كم هو بسيط ومريح وخاصة تلك الحجرة .

ويثبت بصرها عند صورة معلقة على الحائط المواجه للمكتب ، وتسألها :

- أهذا هو (أحمد) ؟

وتدرك (سلمى) أنها تهرب من ذكرياتها والحديث عنها .. فهى شىء يؤلمها ، وتجيب :

- نعم .. سيتخرج هذا العام فى كلية الهندسة .. وتضحك وهى تذكره وتقول :

- دائمًا يتهمنى أننى أختلس من مصروف البيت لأشترى تلك الكتب التى أحبها ، وتسألها (ندى) :

- ألا يحب القراءة مثلك ؟

- (أحمد) ؟!!

وتضحك ضحكة قصيرة ، ثم تقول :

- إن هواية (أحمد) الوحيدة هى الجلوس بمفرده والاستماع إلى تلك الموسيقى الكلاسيكية والجلوس إلى الكمبيوتر والتعامل لساعات مع « الإنترنت » .

أنا أيضًا أحب الموسيقى ، ولكنى لا أحب « الإنترنت » كثيرًا وأفضل القراءة على كل شىء .

- إذن ، يجب أن نقوم بترتيب كل تلك الكتب هنا ، عليك أن تحدثينى عن الكتَّاب الذين تفضلين القراءة لهم .. ولماذا ؟!

مع (سلمى) كانت (ندى) تشعر أنها فى عالم رحب واسع ، تعيش عالمًا كانت تبحث عنه ، عالم ليس بنفس الضيق الذى تعيش فيه زميلاتها فى المدرسة ، عالم آخر .. لا يحتوى الحديث عن أشهر المغنيات ، وما ترتديه تلك الممثلة الناشئة ، ولون طلاء الأظافر الذى استعملته زميلتهم فى حفل زفاف أختها ، والحفل الذى أقامته إحداهن احتفالاً بعيد ميلادها ودعت إليه ذلك المدرس الجديد الوسيم الذى أثار إعجاب نصف فتيات المدرسة ، وأشياء كثيرة .. ولكنها لا تحوى شيئًا واحدًا جميلاً كتلك المفردات التى يحتويها عالمها الذى تعيشه مع (سلمى) ..

مع (سلمى) عشقت صوت « فيروز » وشعر (نزار) وذابت فى ألحان الرحبانية وعاشت حلاوة

صوت (أم كلثوم) وفرحت مع (عبد الحليم) وهو يغنى « وحياة قلبى وأفراحه » وشعرت كم هو الحب جميل مع (ليلى مراد) . .

مع (سلمى) اقتربت أكثر من عالم أحبته . . عالم الأدب والخيال ، أحبت الحديث عن أدب (إميلى برونق) و (سومرست موم) و (جوستاف فلوبير) وأحبت عوالم (نجيب محفوظ) وتاهت وسط حدائق (يوسف السباعى) الرومانسية ، وعرفت ما هو الشك مع (سارة العقاد) وعشقت أسلوب (محمد عبد الحليم عبد الله) . .

مع (سلمى) تعلمت الكثير . . فهى تقضى جزءاً كبيراً من يومها معها (سلمى) أو يخرجان معاً لشراء احتياجات المنزل وفى نهاية اليوم قد يذهبان للنادى أو تقضى (سلمى) بعض الوقت مع (ندى) فى شقتها حتى عودة والدها من عمله ليلاً ، وفى أيام الدراسة تجمعهما ساعات الاستذكار . . رغم اختلاف دراستهما ووسط كل ذلك مرات قليلة تلك التى رأت فيها (أحمد) .

كانت تجلس فى حجرة (سلمى) تستذكر عندما دخل (أحمد) الحجرة ، وهو ينادى أخته :

ـ (سلمى) ألا تتذكرين أين وضعت الـ . .

وما إن يرى (ندى) حتى يقف مكانه لا يعبر إلى داخل الحجرة ، ويقول :

ـ أنا آسف . . لقد استيقظت من النوم وكنت أظن (سلمى) وحدها ، وتقدمت (ندى) خطوة فى اتجاهه ، وهى تقول :

ـ إنها بالمطبخ ، تعد لنا الشاى .

ويتقدم هو أيضًا خطوة فى اتجاهها ليصافحها وبين خجله وابتسامته تلمح ذلك الشىء فى عينيه شىء كالرسالة القصيرة التى تظهر فى سرعة وتختفى فى سرعة ، فلا تعرف محتواها ولا تدرى إلا أنها رسالة لك ، رسالة تخصك ، وتقول (ندى) فى مرح :

ـ كيف حالك يا . . .

ثم تسأله فى ابتسامة حلوة :

ـ هل أدعوك (أحمد) ؟ أم باشمهندس ؟

وتدخل (سلمى) الحجرة حاملة أكواب الشاى وبعض قطع الكيك ، وتقول :

- مسألة باشمهندس هذه شىء مشكوك فيه أو كما يقولون « مع إيقاف التنفيذ » .. فلازال أمامه عبور السنة المتبقية له حتى ينال ذلك اللقب رسمياً .

وينظر إلى أخته ضاحكًا :

- وكأنك تتحدثين عن عبور قناة السويس .

- الله وحده يعلم ما الذى يمكن أن يحدث قبل أن تنال ذلك اللقب .

- ما الذى يمكن أن يحدث ؟ أن تقفزى عامين من عمرك كى تحصلى على شهادتك الجامعية قبلى هذا يحتاج إلى معجزة يا أختاه .

تنظر (ندى) إليهما فى صمت ، كم كانت تشتاق لجو كهذا ، جو من المرح والحب والمشاركة جو عائلى ، وترتفع فوق شفتيها ابتسامة حلوة وهى تتابع حديثهما حتى ينتهى ، وقبل أن يغادر (أحمد) الحجرة يلتفت لـ (ندى) ويحييها مرة أخرى :

- فرصة سعيدة يا (ندى) .

كلمات أربع تلك التى نطق بها ، ولكن عيناه قالتا الكثير والكثير ، مماً لمحت (ندى) بعضًا منه ،

ولكنه جزء غير واضح ، ربما حينها همست لنفسها بشىء ولكنها لم تشأ أن تتسرع فى استنتاج ما لم تتأكد منه ، وتنسى كل ذلك وتعود لاستذكار دروسها .

شىء ضائع كانت (ندى) تبحث عنه وجدته لدى (سلمى) ، ربما هو ذلك المنزل الدافئ العامر بالمرح والحنان والمشاركة .. ربما هو عطاء (سلمى) وحبها الصادق لكل من حولها أو ذلك الحنان الذى تحيط به من تحبهم ، كانت ترعى (أحمد) وكأنه ابن لها ومعاملتها لوالدها هى مزيج من الحب والرعاية والاحترام والتقدير ، ربما أن وفاة والدتها وهى بعد فى العاشرة من عمرها ، وهو السن الذى تلعب فيه كل فتاة بدمية وكأنها ابنتها ، تمشط لها شعرها وتعد لها ثيابها وتصنع لها سريرًا صغيرًا وتبنى لها منزلاً ترتب فيه مقتنياتها .. جعلت تلك الطفلة أمًا صغيرة ، لقد عاشت تجربة عاشتها كثيرات مثلها .. ولكنها بلا شك صنعت منها- شخصية متميزة لحد ما ، وربما هذا ما جذب (ندى) لها ، فقد كانت تفتقد حنان الأم خاصة مع انشغال والدها الكبير فى تجارته ..

أصبحت (ندى) تروى لـ (سلمى) كل ما يمر بها ، تبثها حيرتها وارتباكها أحيانًا فى التعامل مع من حولها وما حولها فى الحياة ، دومًا تجد لدى (سلمى) ما يبدد حيرتها ويقضى على ارتباكها ويحوله إلى ثقة بالنفس واتزان ، تنقل (سلمى) لها كل خبراتها فى الحياة حتى لو كانت عن أشياء بسيطة ، تلقنها المبادئ التى شكلت فكرها حتى صارا يتحدثان نفس اللغة وينظران للحياة من منظور واحد ورؤية واحدة . .

« أبى يريد أن ألتحق بالجامعة الأمريكية لأدرس إدارة الأعمال ، وعمتى تتمنى لو أن مجموعى يؤهلنى للالتحاق بكلية الطب ، وأنا لا أعرف ماذا اختار ، كنت أستذكر لأنه يجب أن أستذكر ، والحمد لله نجحت . . أما الآن فلا يوجد هناك « يجب » وعلىَّ أن أختار . . »

كما اعتادت (ندى) فى الفترة الأخيرة ، تروى لـ (سلمى) كل ما يحيرها ، كانوا جميعًا قد احتفلوا بنجاحها وحصولها على الثانوية العامة ، والآن صار عليها أن تختار أى كلية تود الالتحاق بها ، وتحدثها (سلمى) :

ـ هناك شخص واحد سيحسم هذا الأمر . .

وتومئ (ندى) برأسها ، وتقول فى هدوء :

ـ أعرف ، ستقولينها (ندى) ، (ندى) يجب أن تعرف ماذا تريد أن تكون وتتنهد فى حيرة ، وتقول :

ـ المشكلة هى أننى لم أحلم يومًا بمهنة معينة أمتهنها ، لم أتصور نفسى طبيبة أو صيدلانية أو معلمة . .

ـ إذن ابحثى عن العمل الذى تحبين دراسته ، أما مسألة العلم فسيأتى وقتها فيما بعد . .

وتنهض (ندى) وتتجه لمكتبة (سلمى) ، وتقف أمامها وتنظر إليها بإعجاب ، وتقول :

ـ هذا الأمر محسوم يا (سلمى) إننى أحب الأدب ، وأتمنى أن يُتوج هذا الحب بالدراسة . .

وتلتفت لـ (سلمى) مبتسمة وتكمل حديثها :

ـ مِثلك . . إننى أريد الالتحاق بكلية الآداب .

وتكون كلية الآداب بجامعة القاهرة هى أول رغباتها فى الأوراق التى تقدمت بها لمكتب التنسيق للقبول بالجامعات . .

كانت (ندى) قد اعتادت أن تقضى الصيف كله فى الإسكندرية حيث خالتها تقيم ، اعتادت أن تسافر بعد

أن تنتهى من امتحاناتها مباشرة ، ولكنها هذا العام لم تفعل ، كان هذا يعنى أن تترك (سلمى) ، و (سلمى) لا تستطيع السفر معها فترة الإجازة كلها وتترك والدها وأخاها ، هى لم تعتد الحياة بعيداً عنهما ولا تحتملها ، وأمام إلحاح خالتها أن تزورها خاصة بعد أن انتهت من إجراءات تقديم أوراقها لمكتب التنسيق دعت (سلمى) لأن تسافر معها لأسبوع واحد ، وألحت فى ذلك وقبلت (سلمى) ، وكان أسبوعاً جميلاً له طعم مختلف عن كل الفترات التى كانت تقضيها من الصيف هناك فى السنوات السابقة ، تعرفت فيه (سلمى) خالة (ندى) وأولادها وعاشت معهم أسبوعاً ، ولكنها سرعان ما اشتاقت لمنزلها ولأسرتها وعادت هى و (ندى) للقاهرة . .

كانت (ندى) تقف إلى جوار (سلمى) فى المطبخ ، يفكران معًا ماذا سيعدان من طعام عندما سمعا صوت الباب يُفتح وأدركت (سلمى) أنه (أحمد) ، لم تكن قد رأته منذ أن عادت ، فأسرعت إليه تحتضنه قائلة :

ـ أين كنت يا باشمهندس ؟ هل تستغل فرصة غيابى وتقضى يومك كله خارج المنزل ، وتلحق (ندى) بها

ويراها (أحمد) فيتجه إليها وابتسامة حلوة تحملها شفتاه قبل أن يقول :

ـ (ندى) ! أهلاً بك .

وكعادته يحيط به خجله وهدوءه وكأنما قد صارا ملازمين له أينما كان ومتى كان ، لا تنطق عيناه بأكثر من ابتسامة هادئة ، وتصافحه ، ومرة أخرى وللحظات يزول ذلك الغلاف الذى يحيط بعينيه وترى شيئًا لا تعرفه أهو فرحة أم شوق ، ولكن هذا الشىء سرعان ما يختفى وتتناساه هى فى سرعة ، وهى تقول :

ـ أهلاً بك يا (أحمد) كيف حالك ؟ وكيف قضيت تلك الأيام بدون (سلمى) ؟

وقبل أن يجيبها تسأله (سلمى) فى اهتمام :

ـ نعم يا (أحمد) كيف كانت حياتكم بدونى ؟

يلتفت لأخته قائلاً :

ـ ليتك سافرت منذ بداية الإجازة .

فتسأله فى دهشه :

ـ مـاذا ؟؟!

مبتسماً يجيبها :

ـ ما إن غادرت المنزل حتى جاءنى أجمل خبر فى حياتى حتى الآن ، لقد ظهرت نتيجة البكالوريوس وصرت مهندسًا مع « الشغل والنفاذ » ، وليس مع « إيقاف التنفيذ » كما كنت تقولين منذ شهور .

وفرحةً تصيح (سلمى) :

ـ أحقًا يا (أحمد) !! الحمد لله .. الحمد لله ..

وتشعر (ندى) أنها أمام أم حقيقية فها هى تشكر الله لنجاحه كما تفعل كل أم ، لم تقتصر مشاعرها على الفرحة بنجاحه ، إنها تشكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكأنها بنجاحه هو قد نجحت هى أيضًا ، وتقول فى سعادة :

ـ عقبال الوظيفة يا (أحمد) ..

ـ إن شاء الله يا (سلمى) ..

ويضيف ضاحكًا :

ـ من اليوم أنا باشمهندس رسميًا ، أليس كذلك ؟

ـ بالطبع يا باشمهندس ، مبارك لك يا (أحمد) ..

قالتها (ندى) فى فرح وهى تعيش فرحة (سلمى) بأخيها ، وربما حلمت بأن تصير يومًا ما أمًا لتعوض عدم

فرحتها بأخوة وأخوات لها وضياع لحظة جميلة كهذه من حياتها .. لحظة لن تعيشها ويلتفت (أحمد) إليها :

ـ شكرًا يا (ندى) .. بالمناسبة ما رأيك أن تقترحى أنت المكان الذى سأدعوكما إليه احتفالاً بهذه المناسبة ؟!

وتمضى الأيام حلوة .. جميلة .. مرحة .. دومًا تسعد (ندى) لوجود (سلمى) إلى جوارها .. تطمئن إليها ، ومع مرور الوقت يتعرف والد (ندى) بوالد (سلمى) و(أحمد) ، وتجمع الأسرتين المناسبات الاجتماعية والعائلية ، ويعرض والد (ندى) على (أحمد) أن يعمل لديه فى تلك الشركة التى أنشأها حديثًا ، ولكنه يعتذر لأنه قد وجد وظيفة فى مكتب هندسى يدير زميل له تخرج قبله بعامين وهو سعيد بتلك الوظيفة .. وبدأت (ندى) تعرف معنى كلمة « أسْرة » .

« لماذا ؟ لماذا يا أبى نترك المكان هنا ؟ » .

قالتها (ندى) فى اعتراض ووالدها يعود من جديد للحديث فى أمر انتقالهم للفيلا التى اشتراها بـ « مصر الجديدة » .. ومرة أخرى يحاول أن يقنعها قائلاً :

ـ لقد صار عملى أكبر وأوسع ، أحيانًا يجب أن أدعو بعض العملاء أو رجال الأعمال للبيت كنوع من المجاملة ، والمكان هنا لا يصلح لشىء كهذا ، ألا يسعدك أن تقيمى فى فيلا واسعة تحيط بها حديقة جميلة وحمام سباحة يخصك وحدك .

لم يسعدها ما ذكره والدها لأنها لم تفكر إلا فى شىء واحد : إنها ستترك (سلمى) وتبتعد عنها ، وكان والدها يدرك ذلك فقال :

ـ وسوف تدعين (سلمى) إلى هناك لقضاء بعض الوقت معك .

وقبل أن تعترض أو تنطق بشىء فاجأها بقوله :

ـ وسوف أشترى لك سيارة والمسافة بالسيارة لا تزيد عن نصف ساعة ، والآن ما رأيك ؟؟

وأمام تلك الهدية وأمام إدراكها أن اعتراضها لن يثنى والدها عن قراره لم يكن أمامها سوى أن تقبل ، وبقى أن تخبر (سلمى) بهذا الأمر . .

حين أخبرتها (ندى) بالأمر ، ظهر شىء من الحزن لبعض الوقت على ملامحها ، ولكنها عادت بعد

ذلك تبتسم ، وهى تقول لـ (ندى) : إنه ليس هناك ما يفرق بينهما أبدًا ، وودعتها بوجه باسم وداخلها سؤال : ترى هل ستبعد الأماكن بينهما ؟؟ وقررت أن تترك أمر الإجابة للأيام القادمة .

ربما شعرت (ندى) فى البداية بابتعادها عن (سلمى) وخاصة فى الأيام الأولى ، وهى منشغلة باستكمال ما ينقص الفيلا من اكسسوارات وتحف ، راحت تضع لمساتها فى كل ركن بالفيلا ، واهتمت كثيرًا بالحديقة وخصصت بها ركنًا ظليلاً لتقرأ به فى الصيف ، وكان أكثر ما أخذ من وقتها هو حجرة المكتب فلقد ترك لها والدها أمر تلك الحجرة ، ولم يتدخل مهندس الديكور فى أى شىء بها ، وبعد تأثيثها عادت لـ (سلمى) من جديد ومضت أيام وهما يشتريان معًا كل ما حلمت (ندى) أن تحتويه مكتبتها من كتب وروايات وموسوعات ومجموعات كاملة للأعمال الأدبية واقترب العام الدراسى الجديد . .

وجاءت أحلى أيام (ندى) وهى تسير إلى جوار (سلمى) فى الجامعة ، تجمعهما دراسة واحدة وقسم واحد وإن اختلفت سنواتهما الدراسية ،

فـ (سلمى) تبدأ عامها الثالث و(ندى) لازالت فى أول عام لها ، ولكنها سعيدة فرحة فسوف تقضى معها هذا العام والعام الذى يليه حتى تتخرج (سلمى) ، ولم تكن (ندى) وحدها من فرحت بهذا العام . . (سلمى) أيضًا عاشت فيه أحلى أيام حياتها القصيرة وجاءت تروى لـ (ندى) . .

« أخيرًا . . أخيرًا . . يا (ندى) قالها لى !! » .

تلك السعادة التى نطقت بها عبارتها وتورد وجنتيها ، جعل (ندى) تدرك عمنْ تتحدث فتقول وهى تتأمل ملامح وجهها الفرحة :

- دكتور (جلال) . . أليس كذلك ؟

- نعم . . ومن غيره سأسعد بحديثه وأفرح له هكذا . .

تسألها (ندى) فى اهتمام :

- كيف كان شعورك وهو يصارحك بمشاعره و . . .

تقاطعها (سلمى) ضاحكة :

- منْ ؟ (جلال) ؟! (جلال) يحدثنى عن مشاعره !!

تسألها (ندى) فى دهشة :

- أليس هو من تعنينه بحديثك هذا ؟؟ أم . .

ومرة أخرى تقاطعها (سلمى) وتقول :

- نعم . . إنه (جلال) ولكنه لم يحدثنى عن مشاعره كما تظنين . . لقد تحدث لى عن أحلامه بأن يسافر ليكمل دراسته فى أمريكا للحصول على الزمالة الأمريكية وسألنى هل سأراسله حينها ليطمئن علىَّ و . .

وهذه المرة تقاطعها (ندى) فى دهشة :

- أكل هذه الفرحة لأنه سألك أن تراسلينه حين يسافر ؟!

ابتسامة هادئة رقيقة اعتلت شفيتها ، وهى تجيب :

- بل لأنه أخبرنى أنه عندما تستقر به الأمور هناك لن يحتاج لمراسلتى لأننى - إن شاء الله - سأكون معه و . .

وتسألها (ندى) :

- ألم يقل لك تلك الكلمة التى تنتظرها كل فتاة من الشخص الذى تحبه ؟

لا تزال محتفظة بنفس تلك الابتسامة الهادئة الحلوة ، وهى تجيب :

- (جلال) إنسان عملى وواضح ، وأنا أشعر به دون أن يتحدث إلىَّ ، فقط كنت أريد أن يعلنها لى أنه يريدنى معه إلى جواره هناك . .

وتسألها (ندى) فى اهتمام :

ـ أهى دراسة الطب السبب فى أسلوبه العملى هذا ؟

ـ بل شخصيته . . هذا هو إحساسى به . .

ـ ألا تخافين على حبكما من تلك الشخصية العملية التى قد لا تقيم وزنًا لمشاعرك . .

ـ على العكس سيكون حريصًا على سعادتنا وحياتنا ، كحرصه على مستقبله العلمى هو يدرك جيدًا أنه لولا تلك المشاعر الدافئة التى سأحيطه بها ما كان ليبدع ويتقدم فى حياته العلمية فلماذا يضيع تلك المشاعر أولا يهتم بها فتذبل وتموت . .

ـ ومتى سيسافر ؟

ـ ما زال أمامه عامان حتى ينتهى من سنة الامتياز ويجرى مراسلات مع الجامعة التى يود أن يدرس بها وتوافق و . . . وما زال أمامه الكثير . .

وتعود (ندى) لتسألها من جديد :

ـ وكيف كان شعورك حينها ؟

ـ شعور لا يوصف يا (ندى) ، وكأننى عثرت على شىء أبحث عنه طويلاً ، وكأننى أحيا حلمًا ساحرًا وكأننى ملكت الدنيا كلها . .

وتبتسم (ندى) وهى تستمع لحديث (سلمى) وتسعد له وداخلها حلم أن تعيش مثل هذه اللحظات وحينها ستسرع لـ (سلمى) لتكون أول من يفرح معها وتشاركها سعادتها ، ولكن ماذا شاركتها (سلمى) بعد هذا ؟ لم تشاركها شيئًا سوى الألم والدموع حين عرفت الحب لأول مرة .

وينتهى العام الأول لهما معًا ، وتنجح (ندى) فيه وتحصل على أحد المراكز الأولى بين ترتيب الطلبة الناجحين وتفرح (سلمى) بها وبتفوقها ويأتى الصيف وتسافران إلى الإسكندرية ويلحق (أحمد) بهما هناك فى نهاية كل أسبوع ، ويعود فى بداية الأسبوع التالى إلى القاهرة ، ولكن (سلمى) لا تحتمل البعد عن منزلها وأبيها وتعودان إلى القاهرة من جديد ليقضيا باقى الصيف هناك يدعوهما (أحمد) فى بداية كل شهر لعرض مسرحى وأحيانًا إلى دار السينما أو إلى نزهة ، ومن جديد يأتى العام الدراسى لتخطو (ندى) فيه ثانى خطوة لها فى العالم الجامعى ومعها أول خطوة فى طريق الحب وآخر خطوة ؛ فلقد كان طريقًا فيه كثير من العذاب والدموع والألم . .

ويقترب موعد سفر (جلال) .. تقابل (سلمى) ذلك بشيء من الحزن ، ولكنها تتقبل الأمر من أجله .. إنه يسافر من أجل مستقبله العلمى ومستقبله يعنى مستقبلهما معًا هى أيضًا تفكر فى التقدم للالتحاق بقسم الدراسات العليا فى الكلية ؛ لتشغل وقتها من جديد بالدراسة حتى تسافر إليه .. ثم يحدث شيء ما ..

شيء ما يتغير بها ، يختفى بريق عينيها .. تذهب ابتسامتها ويتبدد مرحها ، ولكن رغم هذا تفرح لسفر (جلال) ، وهذا ما حيَّر (ندى) ، كانت فى البدء تذكر أمر سفره بشيء من الحزن المستسلم للأمر الواقع مع شيء من الاقتناع ، ولكنها الآن ترجوه أن ينتهى من إجراءات سفره فى سرعة ، وحين يقول لها إنه يريد التقدم لوالدها لطلب يدها قبل سفره ترفض بشدة ، وتسأله أن يسافر أولاً ليطمئن على دراسته ، ثم يتناقشان فى هذا الأمر فى خطاباتهما ، ورغم دفعها له للسفر تبكى عند استلام أول خطاب منه وتحتضنه وهى تتمتم :

ـ ألم تنسنى يا (جلال) ؟؟

وتندهش (ندى) لما يحدث أهى تضعه فى اختبار ؟ أهى تشك فى حبه لها ؟ لهجتها توحى بأنها تتمنى أن ينساها ، وهى تعرف أن (جلال) لن ينساها حتى لو فرقت بينهما آلاف وآلاف الأميال فهى تعرف كم هو صادق ومخلص فى حبه لها ، وتسألها (ندى) :

ـ أتخافين أن ينسيه انشغاله بدراسته هناك حبك ؟ (جلال) لا ينشغل عنك أبدًا يا (سلمى) ..

ـ أعرف ..

قالتها فى تنهيدة حزينة فتسألها (ندى) فى حيرة :

ـ أتخشين إذن أن يتعلق قلبه بحب فتاة أخرى هناك ؟

ـ ليته يفعل .

قالتها فى صدق أدهش (ندى) فقالت فى تعجب :

ـ ماذا ؟!

وتتنبه (سلمى) لما تنطق به فتتظاهر بالمرح وتضحك قائلة :

ـ على الأقل لو كانت تلك الفتاة أمريكية سيتزوجها لينال الجنسية وتشعر (ندى) بها .. إنها تفتعل المرح .. ولكنها تخفى شيئًا غامضًا داخلها .. وتقرر (ندى)

ألا تسألها عن أى شىء . . إلا إذا تحدثت هى . . ولكنها لا تتحدث . .

صارت تخرج كثيراً بمفردها وأحيانًا تتأخر وتسألها (ندى) :

- أين كنت يا (سلمى) ؟ لقد انشغلت عليك . .
- كنت أزور طبيب الأسنان . .
- ولماذا لم تتصلى بى لأذهب معك . .
- آسفة . . نسيت . .

وتحتار (ندى) فيما يحدث وهى يومًا بعد يوم تزداد شحوبًا وهزالاً رغم إنها لا تقلل من طعامها ، وأحيانًا تجلس فى حجرتها لوقت طويل وتخرج منها وفى عينيها آثار بكاء ، تتعامل بعصبية مع من حولها ثم تعود لتنشر حنانها حول كل من تحب كما كانت دومًا ، ويلحظ (أحمد) كل هذا ويسأل (ندى) فتجيبه :

- لا أدرى يا (أحمد) . . حقًا لا أعرف ماذا بها .

قالتها فى حيرة صادقة ، ثم سألته فى قلق :

- أترى نحاول عرضها على طبيب نفسى ؟
- طبيب نفسى !!

- لا أعتقد أنها ستوافق .

ويندهش (أحمد) من شىء آخر يلاحظه ، صمت والده تجاه كل هذا ، إنه يلاحظ ما لاحظه (أحمد) و (ندى) ولكنه لا يتحدث عنه ولا يسأل (سلمى) عن أى شىء ، فقط يحيطها بنظرات مليئة بالحنان والحب الصامتين ، وبعد فترة تزداد (سلمى) بُعدًا واغترابًا عمّا حولها . . يدخل والدها حجرتها فى أحد الأيام ويسألها أن يصطحبها إلى الطبيب ليطمئن عليها ، ولكنها ترفض فى شدة ، وحينها عرف الجميع ما بها . .

وحده كان يعرف ما بها ، لأنه عاصر نفس تلك الأيام منذ ثلاثة عشر عامًا ، شاهد كل هذا الذى يشاهده الآن حين علمت زوجته بأمر مرضها وأخفته على الجميع ، وراحت تحبس نفسها حين تنتابها نوبات الألم كيلا يلاحظ أحد ما بها ، إنها تفعل نفس ما كانت والدتها تفعله ، ولكن كان يجب أن تبدأ رحلة العلاج ، ويذهب والدها معها للطبيب المختص الذى ينصح بأن تدخل المستشفى ، ومع دخولها المستشفى تطوف بالجميع ذكريات مؤلمة ومريرة و (سلمى) ترقد أمامهم فى الفراش ، ويمتد إلى ذراعها جهاز

الوريد الذى ينتهى عند زجاجة بها محلول أذيبت فيه جرعات الدواء ، ويتذكرون تلك الأيام التى انتهت برحيل والدة (سلمى) ويحاولون أن يتناسوا تلك الذكريات .. جميعهم يحاولون و(سلمى) أولهم ، تحاول أن تبدو متماسكة صابرة ، تحاول أن تكون متفائلة من أجلهم وهم يتظاهرون بالمثل من أجلها ..

وتمر الأيام كئيبة حزينة ، وهم يرون (سلمى) الجميلة الرقيقة المرحة وجمالها يذبل وابتسامتها تموت ومرحها يتلاشى ، يرونها تقاوم آلام المرض تحقن بأقوى المسكنات ، وتقاوم آلام العلاج نفسه فهو يحدث آلاماً رهيبة ونوبات قئ حادة ويتساقط شعر رأسها بل شعر جسدها كله ، وتتردد (ندى) هل تأتى لها بما يرسله (جلال) لها من خطابات أم لا ؟

ويحسم ترددها سؤال (سلمى) لها :

- أما زال (جلال) يرسل لى ؟

- نعم .. غداً سآتى لك بكل ما أرسل إليك به فى الفترة السابقة ..

ورغم آلام مرضها تسعد بخطاباته لها .. وهو يروى لها عن دراسته هناك ، وعن المكان الذى يقيم فيه

ومن يتعرف عليهم من المصريين والعرب هناك وتتردد (ندى) فى قراءة جزء من رسالته لها يحدثها فيه عن أنه يعد المكان الآن لاستقبالها ، ويحلم باليوم الذى ستسافر إليه فيه ولا تقرأ هذا الجزء ، هى لا تريد أن تزيد من عذابها ، وهى تعرف كم تتعذب من أجلهم .. من أجل (أحمد) ومن أجل والدها .. وتسألها (سلمى) ألا تخبر (جلال) بأى شئ عن مرضها ، وتعدها (ندى) ألا تفعل ذلك ، وتدرك (ندى) لماذا كانت تدفعه للسفر فى سرعة ؟ ولماذا كانت تتمنى أن ينساها ؟ وتدرك كم أنها إنسانة عظيمة ..

جميعاً يتألمون من أجلها ، وكان أكثر من يتألم وهو يراها والدها ، كان يرى فيها زوجته التى وقف عاجزاً أمامها أن يفعل شيئاً ينقذها به ، والآن وبعد ثلاثة عشر عاماً لا يزال الطب عاجزاً أمام نفس الحالة ، ويغالب حزنه ودموعه ، وهو يجلس إلى جوارها يقرأ القرآن ويصلى من أجلها ، ويبكى (أحمد) وهو يراها أمامه نائمة على فراش المرض .. المرض اللعين الذى لا تجدى معه مقاومة أو دماء ويحتضنه والده فى صمت ، وكلاهما لا يعرف ماذا يقول للآخر ..

أما (ندى) فتعيش العذاب .. فالعذاب هو ما تراه ..
العذاب هو أن ترى تلك المخلوقة الوحيدة فى العالم
التى تحبها فى صدق .. تحبها لا لأنه يجب أن تحبها
فلا صلة دم أو قرابة بينهما ، تحبها لأنها هى (سلمى)
تحبها لأنها تستحق أضعاف هذا الحب ، وبقدر هذا
الحب تتعذب ولا تبكى أمامها ، ولكنها تبكى وهى
تصلى من أجلها وتدعو اللّه أن يطيل من عمرها
ويشفيها من أجل من يحبونها ولكنها ترحل .. تغادر
حياتهم لتتخلص من آلام المرض والحياة معًا ، وتبقى
آلامهم هم لرحيلها ويبكيها الجميع كل من عرفوها يبكونها
فى صدق ويطلبون من اللّه الرحمة والمغفرة لها ..

ويسقط قناع التماسك التى كانت (ندى) تحاول به
إخفاء آلامها وحزنها على (سلمى) عنها ، وتسقط هى
معه مصابة بانهيار عصبى بعد رحيلها ويراها (أحمد)
أمام عينيه تسقط فاقدة الوعى وتنقل إلى المستشفى
ولا يحتمل أن يراها هى أيضًا داخل مستشفى فيسافر ،
وتسأل (ندى) عنه وهى فى المستشفى ولا أحد يجيب
حتى تعرف .. لقد سافر وتسأل « إلى أين ؟ »
« لا أحد يعرف » تلك هى الإجابة .

لا أحد يعرف .. لقد سافر هو ووالده دون أن
يخبرا أى أحد بهذا الأمر ..

وتغادر (ندى) المستشفى وهى تحدث نفسها حتى
أنت يا (أحمد) .. حتى أنت ترحل وتتركنى وحيدة بعد
رحيل (سلمى) ؟ كيف لا تعرف أن كلينا يحتاج الآخر ..
وتتذكر حديث (سلمى) معها قبل رحيلها بأيام ذلك
الحديث الذى بدأته بسؤالها :

ـ ألازلت تذكرين (هشام) يا (ندى) ؟

وتندهش (ندى) لأنها تتذكر (هشام) الآن ، إنها
هى نفسها تحاول أن تنساه ، وقبل أن تجيبها أو تبحث
عن إجابة داخلها تحدثها (سلمى) بصوت واهن وجمل
متقطعة :

ـ أعرف أنك الآن لا تذكرين إلا جرحه لك ، ولكن
أرجوك يا (ندى) حتى ذلك الجرح انسيه ، استقبلى
حياتك القادمة وأنت لا تتذكرين مما مر بك إلا كل جميل ..
انظرى حولك ستجدين قلبًا بريئًا يبحث عنك منذ زمن ..
قلب يحمل لك كل الحب و ...

ومع حديثها تستعيد ذاكرة (ندى) أشياء وأشياء
تلمع فى ذهنها كضوء كاميرا يظهر فى لحظة ثم يختفى ،
وتتجمع كل هذه الفلاشات السريعة لتصنع ضوءًا يظهر
تلك الحقيقة التى تتحدث عنها (سلمى) الآن ..

(أحمد) ..

قالتها (ندى) لنفسها وليس لكى تسمع بها (سلمى) ولكنها سمعتها فقالت :

- نعم .. نعم يا (ندى) .. (أحمد) ..

تسألها (ندى) فى حيرة :

- ولكنه أبدًا لم يحاول يومًا أن يشعرنى بحبه أو ...

تقول (سلمى) فى وهن :

- هذا هو (أحمد) يا (ندى) .. صامت .. خجول .. كلما حاول أن يتحدث إليك يتراجع عن ذلك .. هو يؤمن أن الحب لا يحتاج إلى كلمات لتعبر عنه ، إنه إحساس يجب أن نعيشه لا أن نصفه لمن نحب ، كما أن وجود ..

ولم تكمل حديثها فقالت (ندى) :

- وجود (هشام) فى حياتى أليس كذلك ؟

وتكمل (سلمى) حديثها :

- نعم .. حينما قرر أن يصارحك بهذا يوم عيد ميلادك لاحظ شيئًا ما يجمعك أنت و (هشام) أكثر من علاقة أستاذ وتلميذته أو حتى صداقة أسرية ، فعاد إلى ما كان عليه دومًا و ...

ويتهدج صوتها فتقترب (ندى) منها وتسألها فى لهفة :

- (سلمى) .. ماذا بك ؟ هل أستدعى الطبيب لك ؟

تحاول أن تبتسم لها فتأتى ابتسامتها شاحبة واهنة ، وهى تقول :

- لا .. إننى على ما يرام والحمد لله ، فقط هو قلبى الذى يدق فرحًا عندما أتصور ذلك الحب الذى يحمله (أحمد) لك فى قلبه ينمو ، وأنت إلى جواره تسعدين بهذا الحب الحقيقى .. تمامًا كحب (جلال) لى ذلك الحب الذى سيموت سيولد محله حبك أنت و (أحمد) و ...

تضع (ندى) يدها على فم (سلمى) ، وهى تقول :

- أرجوك يا (سلمى) لا تتحدثى هكذا ؟ إننا ندعو الله جميعًا .. وإن شاء الله ستغادرين المستشفى لتسافرى إلى (جلال) وسيعيش حبكما ويستمر و ..

وتقاطعها (سلمى) فى رجاء :

- أرجوك يا (ندى) امنحى (أحمد) الفرصة ؛ ليرى حبه النور عدينى أن تقفى إلى جواره بعد رحيلى وأن تظلا معًا فـ (أحمد) سيحتاج إليك يا (ندى) ..

وتعدها (ندى) ، ولكن ها هو يرحل ؟!

يترك القاهرة بل مصر كلها .. لا يطيق البقاء بعد رحيل (سلمى) ..

وتغادر المستشفى وهى لا تزال غير مصدقة أنه سافر وتركها وحيدة بعد رحيل (سلمى) ، وتمر الأيام والشهور حتى يتذكرها فى يوم عيد ميلادها ، وتسأله حين اتصل بها :

ـ أين أنت يا (أحمد) ؟!

ولا يجيب ، وهو يقول :

ـ كـيف حـالك يا (ندى) ؟ كم أتمنى أن أراك .. ولكن ..

ـ ولكن ماذا ؟ أرجوك يا (أحمد) عُد إننى أنتظرك .

ـ أحقًا ما تقولين يا (ندى) ..

يقولها فى تساؤل حقيقى .. فتجيبه فى سرعة :

ـ ألا تشعر بهذا يا (أحمد) ؟ إننى أحتاج إليك ..

ـ أنا أيضًا أحتاج إليك ..

ولكنـه لا يعود ، ولا يترك رقم هاتفه أو عنوانه ، وها قد مر عامان ولم يعد وها هى تنتظره ..

وتدخل عمتها الحجرة ؛ لتجدها لازالت تنظر إلى صورة (سلمى) وتعيش فى عالم الذكريات ، الذكريات التى تسكن قلبها وعقلها ولا تتركهما أبدًا ولا تتسع حياتها إلا لتلك الذكريات ، متى ستعيش حاضرها وتفكر فى

مستقبلها ؟ متى ؟ وهى تسجن نفسها فى الماضى والذكريات ، وتتنهد عمتها فى حيرة وتناديها :

ـ (ندى) .. (ندى) ..

تنظر إلى عمتها فى دهشة ، كيف دخلت الحجرة وحتى دون أن تشعر بها ، وتدرك أنها هى من كانت شاردة هناك فى الذكريات ، ولذا لم تسمع صوت طرقاتها على الباب ، ولم تشعر بها وهى تدخل الحجرة ، وتسألها :

ـ ماذا هناك يا عمتى ؟

تهز عمتها رأسها فى حيرة :

ـ يا بنتى أنا التى أسألك ماذا هناك ؟ ألن تكفى عن تأمل صورتها ، إن فقدنا من نحب لا يعنى توقف الحياة وإلا لتوقفت حياة كل الشعوب بعد الحروب ، إنه قدرها يا (ندى) الذى كتب لها من قبل أن تولد .

تستمع (ندى) لعمتها ، وهى تؤمن بحديثها ، لو كانت (سلمى) مكان عمتها لقالت نفس الكلمات وتحدثت بنفس المنطق فهذا هو حديث العقل والمنطق ، منطق الحياة التى يجب أن تستمر لأنها مستمرة بالفعل ، ولقد حاولت أن تعود للحياة ، ولكن كل ما عادت إليه كان يذكرها بـ (سلمى) لأنها كانت تشاركها كل شىء فى الحياة ..

فهل تفعل مثل (أحمد) وتهرب ؟ ولكن إلى أين ؟ وكيف ؟ ولأنها بالفعل حاولت ، قالت لعمتها :

- إننى أحاول . . أحاول يا عمتى . .

تبتسم عمتها لها فى رضا وتسألها :

- هل أعد لك طعام الغداء ؟

- لا . . ليست بى رغبة فى أى شىء إلا النوم .

- حسنًا فلتنامى الآن وسأوقظك فى الثامنة لتستعدى للحفل الذى يقيمه والدك اليوم .

تقول فى ضيق :

- ألن يكف أبى عن إقامة تلك الحفلات . .

ولا تعلق عمتها على عبارتها بشىء ، فقط تطبع قبلة حانية على جبينها وتغادر الحجرة . .

وتتجه العمة إلى حجرتها وفى داخلها تسأل :

لماذا هو قدرها دومًا أن تتعذب وتُحرم ممن تحب ؟؟

وتتنهد فى حيرة وحزن إنها تدرك كم ذاقت (ندى) من آلام وعذاب ، وانكسرت داخلها أشياء حلوة كثيرة كانت تحلم بها ، بداية من ذلك الحلم الذى كانت تحلم به وهى ترى بطن والدتها المنتفخة فى حملها فتسألها :

- ما هذا يا أمى ؟ فتجيبها :

- إنه أخوك يا (ندى) ، أخوك الذى سيخرج من هنا ليلعب ويجرى معك .

وتنتظر الصغيرة قدوم أخيها فى فضول ولهفة وتأتى لحظات آلام الولادة وتغادر الأم المنزل أمامها وهى تصرخ فى ألم ، وتغيب الأم فى المستشفى ، وتسأل الصغيرة عنها عندما يعودون من دونها ويحاول كل من والدها وعمتها أن يخفى حزنه عنها وتجيبها عمتها :

- لقد سافرت وستعود قريبًا . .

فتسأل الطفلة فى لهفة وبراءة :

- وهل سيعود معها أخى لألعب معه ؟

وتقاوم العمة دموعها وهى تجيب :

- إن شاء الله يا حبيبتى إن شاء الله .

وتعود العمة للمستشفى فى الصباح ؛ لتشاهد الصغير من خلف زجاج الحضّانة ، تدعو الله أن يشفيه من أجل تلك الصغيرة التى تنتظره . . بل وتنتظر أمه التى رحلت ، ويمر يوم آخر ولكنه لا يبقى يرحل لاحقًا بأمه ، ولازالت الصغيرة (ندى) تسأل عنهما ، وتعود العمة لأمريكا لتعود بعد عام أو أكثر ؛ لتجد الطفلة وقد كفت عن

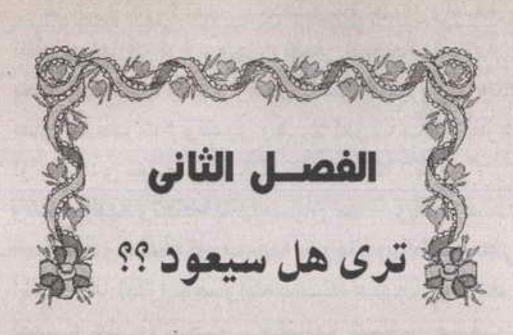
السؤال عن والدتها وأخيها ، وتقسم العمة عامها ما بين مصر وأمريكا ، حيث ابنها وزوجها وتمر السنوات حتى تقرر الاستقرار فى مصر ، ولكن ابنها يفضل البقاء مع والده فى أمريكا ليستكمل دراسته ويبدأ مشواره العملى هناك . .

وتعود العمة لتجد (ندى) وقد صارت فتاة جميلة فى الثالثة عشر من عمرها ، وتوزع العمة يومها ما بين المستشفى والعيادة ورعاية (ندى) ، ولكنها الآن تواجه نفسها بسؤال مؤلم « ترى لو أنها لم تنشغل عن (ندى) بعملها أكانت تتعلق بـ (سلمى) لهذه الدرجة ؟!

وتتنهد فى حيرة وأسف ، وتقول :

- يبدو إنه قدرها ، وتحمد الله أنها أخيرًا قد انتهت من دراستها الجامعية فلقد توقفت عن الذهاب للكلية بعد وفاة (سلمى) ، وبصعوبة شديدة عادت للدراسة ، وهاهى تنهى دراستها الجامعية اليوم . . فمتى تنتهى آلامها وترحل بلا عودة .





الفصل الثانى

ترى هل سيعود ؟؟

كانت تعرف أنها لو انصرفت ؛ لجرى وراءها مرة ثانية وثالثة ، فهذا النوع من الرجال مهما أوضحت له المرأة عدم رغبتها فى البقاء معه أو التحدث إليه لا يمل من ملاحقتها مصورًا له غروره أنه لا توجد من ترفضه أبدًا ، وأن كل ما يحدث هو نوع من الدلال أو تنفيذًا لقاعدة « يتمنعن وهن الراغبات » ...

وتزداد دهشة (شريف) ويحزنه تلك الحيرة التى تنطق بها السؤال « هل سيعود ؟ » ، كيف يسافر (أحمد) ويتركها وهى تعانى انهيارًا عصبيًا .. كيف .. كيف ؟!

ها هى (ندى) تسير وحدها وسط حديقة واسعة ، تنظر حولها فى ترقب وحزن تشعر أنها حائرة تائهة ، يحيط بها صمت رهيب وتسأل نفسها كيف يكون هناك عالم بلا صوت ؟ وتسير وهى لا تعرف ماذا ينتظرها أو ما الذى ستصل إليه ثم تراها هناك (سلمى) .. وتسرع إليها وتحتضنها ويسيران معًا ، ويتبدد صمت الحديقة وصمت كل ما بها ، وها هى الطيور على أشجارها تغرد بأصوات جميلة عذبة ، والأزهار تضىء على الأشجار ، وكأنها شموس صغيرة وتبتهج (ندى) لكل ذلك وتفرح لأن (سلمى) معها ، وفجأة يختفى كل شىء ويحيط بـ (ندى) الظلام من كل جانب ويسكت كل ما حولها ، وتصرخ باسم (سلمى) فهى أيضًا اختفت لم تعد تقف إلى جوارها .. ولكن (سلمى) لا تعود حتى تشعر بتلك اليد التى تمسك بيدها فى الظلام ، ورغم ذلك هى لا تخاف ، بل تشعر بالأمان من جديد مع تلك اللمسة الدافئة التى تحيط بيدها وتسأل فى لهفة :

ـ هل عدت يا (سلمى) ؟؟

فتسمع صوته :

ـ لا يا (ندى) ..

ومع صوته يتبدد الظلام حولها ويعود الضوء ليغمر المكان والطيور تغرد على الأشجار و.. تلتفت هى إلى من يحدثها و ..

« استيقظى يا (ندى) إنها الثامنة » .

تستيقظ (ندى) على صوت عمتها ، وتفيق من هذا الحلم الجميل الذى عاشته منذ لحظات ، ولكنه يظل عالقًا فى ذهنها وتبتسم لعمتها ، وهى تقول :

ـ صباح الخير يا عمتى ..

وتضحك عمتها قائلة :

ـ أى صباح ذلك يا (ندى) ، إنها الثامنة مساءً .

وتنحنى لتطبع قبلة على رأسها ، وتقول :

ـ كم إنك جميلة ورقيقة يا (ندى) ، حتى وأنت مستيقظة توًا من النوم .. هيا يا حبيبتى غيرى ثيابك وارتدى أحد تلك الثياب الرائعة التى تملأ خزانة ملابسك ، وصفّفى شعرك لترحبى بضيوف والدك .. هيا ..

وتنهض (ندى) من فراشها فى نشاط وتقف أمام صورة (سلمى) لتحدثها :

ـ كان (أحمد) أليس كذلك ؟

كانت تتحدث عن ذلك الحلم الذى رأته ، وكان هذا سر ابتسامتها التى تعلو شفتيها الآن ، وسر نشاطها وابتهاجها ، إنها تظن أنه هو (أحمد) من رأته فى الحلم ، وكأنها رسالة منه أنه سيعود قريبًا .

لم يكن والدها معتادًا أن يستقبل أحدًا من ضيوفه فى غرفة المكتب عندما يقيم حفلاً مثل تلك التى يقيمها اليوم ، وهذا ما جعل (ندى) تندهش حينما أخبرها الخادم أن والدها ينتظرها فى حجرة المكتب مع أحد الضيوف ، وهى تقترب رأته يجلس خلف المكتب يحدث هذا الرجل باهتمام ، وبالطبع كان حديثه عن آخر مشروعاته وما إن رآها والدها حتى ناداها :

ـ تعالى يا (ندى) . .

تقترب فى خطوات رقيقة رشيقة مثلها ، ويلتفت إليها ضيفه وينهض الضيف ليصافحها ، ويعرفها والدها به ، وهو يقول :

ـ (منصور بك) ، من أكبر رجال الأعمال فى مصر . .

وتبتسم (ندى) قائلة :

ـ أهلاً بك يا (افندم) . .

وتلمح الإعجاب فى عينى ضيف والدها ، وهو يقول :

ـ أهلاً بك يا (ندى) . . إن والدك حدثنى عنك كثيرًا ، ولكن من يحدثنى عنك أكثر هو (أنور) ابنى فهو يراك كثيرًا فى النادى ، وهو معجب بك لدرجة جعلتنى أشتاق أن أراك .

وتقول (ندى) فى ابتسامة خجل :

ـ أشكرك يا عمى على هذا الحديث و . .

يقطع الرجل حديثها ، وهو يقول :

ـ ها هو قد أتى لتشكريه بنفسك . .

وتلتفت (ندى) لترى ذلك القادم نحوها ، وما إن تراه حتى تسرع لتغادر الحجرة فى غضب وثورة . . عندما رأته شعرت برغبة قوية فى أن تصفعه ، ولكنها حاولت التحكم فى أعصابها نظرًا لوجود والدها

وأسـرعت بمغـادرة المكان كله ، مـا إن رأته يدخل
الحجرة بهذا الغرور والتحدى لكل ما حوله حتى تذكرت
حـادثة اليـوم ، وتلك النظرات التى ودعـه بهـا كل
الواقـفين ، وعادت الثـورة لتشـتعل من داخلهـا من
جديد . .

« آنسة (ندى) . . » .

التفتت لتجيب ذلك النداء ، لتراه مرة ثانية ، ها هو
لا يكتفى بأن تغادر الحجرة فور رؤيته بل يلحق بها فى
الحـديقة حيث أرادت أن تتنفس بعض الهـواء بعيـدًا
عنه ، ولكن يبدو أنه لا مفر من أن تلقى بتلك الثورة
فى وجهه ، وتمر لحظة صامتة تنظر إليه نظرة خاوية
من أى تعبير وهى تسأله :

ـ نعم . . هل من شىء أقدمه لك ؟

ولأنه لم يكن ليلحظ أى شىء فى لهجتها ، فأجابها
وهو يتصنع الاهتمام والقلق :

ـ لقد أثار انصرافك المفاجئ من الحجرة قلقى ؛ ولذا
لحقت بك لأطمئن عليك . .

كانت تعرف أنها لو انصرفت ، لجرى وراءها مرة
ثانية وثالثة ، وهذا نوع من الرجال مهما أوضحت له
المرأة عدم رغبتها فى البقاء أو الحديث معه ، لا يمل
ولا يكف عن ملاحقتها مصورًا له غروره أنه لا توجد
من ترفضه أبدًا ، وأن ما يحدث منها هو نوع من
الدلال أو تنفيذًا لقاعدة « يتمنعن وهن الراغبات » ،
ولذا تقرر ألا تفر منه بل أن تجعله هو الذى يفر حينما
يراها أو يخجل من أن يتحدث إليها ، فقالت له فى
دهشة مقصودة :

ـ أحقًا شعرت بالقلق من أجلى ؟

ازداد غروره واتسعت ابتسامته الصفراء ، وهو
يظن أنها التقطت أول الخيط منه فها هى تسأله « أحقًا
شعرت بالقلق من أجلى » وسوف يؤكد لها هذا بل أكثر
من ذلك ويروى لها عن اهتمامه بها و . . . يجيبها :

ـ بالطبع . . فمنذ أن كنت أراك فى النادى وأنا . .

تقاطعه قائلة :

ـ أحقًا ـ أنت مثلنا ـ لك قلب وتملك مشاعر ، وتشعر
بالقلق والخوف والمسئولية تجاه الآخرين من البشر ؟

نطقت جملتها هذه فى لهجة حادة ، وهى تنظر إليه نظرات قوية ثابتة فأربكته ، أو أدهشته ويسألها :

ـ لا أعرف ماذا تعنين ؟

صمتت لحظات ثم انطلقت تضحك للحظات أخرى ، ودهشته تزداد أمام ما تفعله ، ثم تتوقف فجأة عن الضحك وتقول فى جدية :

ـ أعنى أن الإنسان الذى يقود سيارته فى سرعة جنونية دون الاهتمام بحياة الآخرين وأمنهم ، وعندما يصدم طفلة صغيرة يكتفى بأن يلقى لها ببعض الأموال دون حتى إلقاء نظرة واحدة على طفلة كانت على وشك أن تفقد حياتها بسببه ، وينصرف دون أن يعبأ بنظرات الاحتقار والامتعاض من الناس . .

وتبتسم فى نهاية حديثها قائلة فى تهكم وسخرية :

ـ إنسان مثله لا يمكن أن يملك قلبًا مثل البشر الطبيعين ؛ ليشعر بالقلق لمجرد خروجى مسرعة من الحجرة فور رؤية وجهه الكريم النبيل . .

وقبل أن ينطق بحرف واحد ، تستدير لتتركه وتعود لتستمتع بالحفل ، وقد هدأت تلك الثورة داخلها .

تراها عمتها تتحرك وسط المدعوين وتلك الابتسامة لا تفارق شفتيها . . تشعر أنها ابتسامة تنبع من قلبها لتنير وجهها ، وتحيطها بجو من البهجة والسرور شعرت وكأنها ترى (ندى) أخرى غير (ندى) التى عرفتها منذ رحيل (سلمى) ، ومن كل قلبها تمنت أن يدوم ذلك ، وتسأل : ترى ما سر تلك الابتسامة الحلوة ؟

وعندما رأته يتحدث إليها وابتسامة أخرى تعلو شفتيه وتضىء عينيه أدركت أنه قد يكون هو السر وراء هذا التغير ؟

وتتذكر العمة كيف كان (شريف) أكثر من تأثر بحالة (ندى) بعد وفاة (سلمى) كان يزورها يوميًا ليطمئن عليها ، وعندما دخلت مستشفى للأمراض النفسية كان يرسل إليها بباقة ورد كل يوم ، ويأتى ليسأل الطبيب المعالج عن حالتها حتى لو لم يرها ، وكان أول من استقبلها فى الفيلا بعد مغادرتها المستشفى والعودة لها بباقة ورد أنيقة تحمل توقيعه . . وعندما تسألها عمتها بعد ذلك لماذا انقطعت صداقتهما ولم تعد كما كانت ؟ تجيب (ندى) :

- لقد تعرفت (شريف) بالنادى حين كنت أذهب أنا و (أحمد) و (سلمى) ، كنا نجلس معظم الوقت معًا ، فهو و (أحمد) يعملان فى نفس المجال وبينهما الكثير من الأحاديث .. أما بعد رحيل (سلمى) .. فلم أعد أذهب للنادى .. فكيف أراه يا عمتى ..

لهجة (ندى) حينها جعلت عمتها تتأكد من أنها لا تحمل له فى قلبها أى شىء ، واندهشت لأنها لا ترى ذلك الإعجاب البادى فى عينيه والاهتمام الذى يحيطها به ، وفكرت أن تلفت نظرها لشيء كهذا ، ولكن لم يكن التحدث فى أمر كهذا مناسبًا فى تلك الظروف بعد وفاة (سلمى) .. وتدعو اللَّه أن يكون تخمينها صحيحًا .. وأن تكون (ندى) قد ودعت الماضى .. والذكريات لتستقبل الحاضر والمستقبل ..

وهو يودعها سألها :

- هل سأراك قريبًا يا (ندى) ؟

كانت قد قرأت هذا السؤال فى عينيه قبل أن ينطق به ، وشعرت بتلك السعادة التى نطقت بها ملامحه وهو يراها فى الحفل ، هى أيضًا سعدت برؤيته التى ذكرتها بأيامها الحلوة مع (سلمى) و (أحمد) ؛ فقالت صادقة :

- إن شاء اللَّه ..

- أهذا وعد ..

ضحكت وهو يقولها .. إنها كلمته المعتادة وتسعده ضحكتها فيقول :

- صدقينى لم أنطق بهذه العبارة إلا الآن .. ما إن رأيتك حتى تذكرتها .. إننى سعيد لأنها أضحكتك ، ولأنها ذكرتنى بأيام كنا نلتقى فيها ألن تسافرى إلى الإسكندرية ؟ إن (شيرين) هناك منذ أسبوع ..

- سأتصل بها كى نلتقى حين نسافر .. وأنت ألن تلحق بها هناك ؟

- إن شاء اللَّه ..

- أهذا وعد ..

ويضحكان معًا هذه المرة ..

« وأخيرًا انتهى ذلك اليوم الشاق » ..

قالتها (ندى) وهى تلقى بنفسها على الفراش فى تعب وإرهاق ، وهى تتذكر كل ما مر بها فى هذا اليوم الطويل ..

آخر امتحانات لها فى الكلية ..

لقاءها بدكتور (جلال) . .

ذلك الحادث الذى رأته والذى فجر داخلها ثورة على المتسبب فيه . . والحفل . .

ورؤية ذلك المدعو (أنور) والذى أعاد إليها من جديد ثورتها الغاضبة . .

و (شريف) . .

كان الوحيد الذى أسعدتها رؤيته اليوم ، إنه حقًا إنسان تعتز بصداقته وتبتسم وهى تتذكر آخر مرة رأته فيها منذ عام أو أكثر . . حين كانت تذهب إلى النادى لأول مرة بمفردها بعد رحيل (سلمى) هل كانت مصادفة أن يكون (شريف) هناك فى هذا اليوم ، ويسرع إليها فور أن يراها ليقول لها فى ابتسامة حلوة صادقة :

- (ندى) . . كم أنا سعيد لرؤيتك ثانية . .

حاولت أن تبدو مثله سعيدة فرحة ، وهى تقول :

- وأنا أيضًا سعيدة ؛ لأنك أول من أراه اليوم من أصدقائى . .

وتدعوه للجلوس ، وتقول :

- اجلس يا (شريف) . . إننى أحتاج للحديث معك . .

وتفكر كيف تشكره على اهتمامه بها فى فترة مرضها ، تبحث عن كلمات تعبر بها عن تقديرها لهذا فلا تجد . .

ويسأل هو نفسه فى تلك اللحظات الصامتة . . ترى هل يبوح لها بهذا الحديث الذى يؤجله منذ عام ؟؟ هل يستطيع أن يحدثها الآن ؟! ولكن شىء داخله يحدثه ألا يفعل . . شىء يجعله يتأمل ملامح وجهها الرقيقة ، وهى شاردة تفكر فى صمت ، تلك الملامح التى يفرح قلبه لرؤيتها ويود لو أنها تبقى معه على الدوام ولا ترحل . . وربما هذا ما جعله يقرر ألا يحدثها . . يجب أن يفكر ثانية و . .

تبدأ هى الحديث :

- (شريف) إننى لا أجد من الكلمات ما أعبر لك به عن شكرى لما فعلته من أجلى فى الفترة السابقة ، لقد جعلتنى أتأكد أنه لازال لدى أصدقاء بعد رحيل (سلمى) وسفر (أحمد) . .

كانت مفاجأة له أن يسافر (أحمد) ويترك (ندى) فى مثل تلك الظروف التى كانت تمر بها ، يتذكر أنه لم يره حين كان يزور (ندى) فى المستشفى ، فيسألها فى دهشة :

ـ هل سافر (أحمد) ؟ متى ؟ وإلى أين ؟؟

تتنهد فى حيرة وتقول :

ـ لا أدرى .. لقد سافر بعد رحيل (سلمى) بأيام ، وحين اتصل بى لم يترك عنوانه أو رقم هاتفه ، هل تعتقد أنه سيعود ؟

وتزداد دهشة (شريف) ، وتحزنه تلك الحيرة التى تنطق بها (ندى) هذا السؤال « هل سيعود ؟ » كيف ؟ كيف يسافر (أحمد) ويتركها وهى تعانى انهيارًا عصبيًا ..

بسبب وفاة (سلمى) .. كيف .. كيف يتركها وحدها فى أكثر الأوقات احتياجًا له وترى هل بعد هذا سيعود ؟ ولماذا سافر ؟

ولكنه يخفى أسئلته تلك ولا ينطق بها ، وهو يقول :

ـ سيعود إن شاء الله يا (ندى) .. سيعود ..

وينهض قائلاً :

ـ أستأذنك فأنا على موعد فى ملعب التنس مع صديق ..

ويبتعد عنها ليسير فى اتجاه ملعب التنس ، وهو من جديد يفكر فى سؤالها .. هل سيعود (أحمد) ؟

ويتذكر الأيام التى كانت تجمعه بهم ..

ويتذكر اهتمام (أحمد) بـ (ندى) ..

ونظرة الغيرة التى تقفز من عينيه حين يلمح إعجاب أحد بها ..

ويستعيد حزن (ندى) لسفره ..

ويهمس لنفسه بنفس عبارته لـ (ندى) ويقول : « سيعود يا (ندى) إن شاء الله سيعود » ..

وتسمع طرقات على الباب وتعرف أنها عمتها جاءت لتطمئن عليها قبل نومها ، فتصيح :

ـ ادخلى يا عمتى ..

وتدخل العمة الحجرة ، وتسألها :

ـ هل لى أن أتحدث معك قليلاً ؟

ـ تفضلى ..

ـ سأدخل فى الموضوع مباشرة .. ما رأيك فى (أنور) ؟

تهز (ندى) رأسها ، وتقول فى تساؤل :

ـ (أنور) من ؟!

- (أنور) ابن (منصور بك) الذى عرفك والدك به . .

وما إن تتذكره حتى تعود ملامح الغضب والثورة لحديثها ، وهى تقول :

- ولماذ تسألييننى عنه ؟

لم تلتفت عمتها لحدتها فقد اعتادت منها تقلب حالاتها المزاجية ، وأكملت حديثها :

- لقد طلب والده يدك من والدك ، وسألنى والدك أن أتحدث إليك و . . تجيبها (ندى) فى حدة :

- طلبه مرفوض يا عمتى . . مرفوض . .

سألتها عمتها وشبح ابتسامة يرتسم على وجهها :

- أهو شخص ما ترفضين من أجله الاقتران بآخر ؟

- شخص ما ؟!

رددتها (ندى) فى دهشة وهل كان فى حياتها شخص ما من قبل ، إنها دومًا وحيدة سنوات قليلة تلك التى عاشتها بجوار (سلمى) ، وأشهر معدودة ظنت أنها وجدت فيها من ستمنحه قلبها ثم . . رحل هو أيضًا بعد خيانته وخديعته لها . . و (أحمد) أيضًا سافر و . .

« إنه (شريف) أليس كذلك ؟ » .

- « (شريف) . . لماذا تقولين هذا الكلام يا عمتى » .

هزت العمة كتفها ، وقالت :

- حسبته هو سبب رفضك لعريس مناسب كـ (أنور) . . و . . .

- (أنور) هذا إنسان حقير . .

فزعت العمة لذلك الوصف الذى أطلقته عليه ، وهى تعرف أنها لأول مرة تلتقى به اليوم رغم أنه هو يراها منذ فترة فى النادى . . وتسألها :

- لماذ تقولين هذا يا (ندى) ؟

وتروى لها (ندى) كل ما حدث صباحًا فتتأثر العمة لحديثها وخاصة وهى طبيبة أطفال ترى حوادث الأطفال ، وما ينتج عنها فتقول فى آسف :

- لك الحق يا بنتى فيما تقولينه عنه . .

وتنهض لتقول :

- والآن ليلة سعيدة . .

ترفع (ندى) بصرها إليها وتسألها :

- لماذا حسبت أن (شريف) هو سبب رفضى ؟

تأملتها عمتها فى حيرة ودهشة :

- أحقًا يا (ندى) لا تلاحظين نظرات الإعجاب فى عينيه حتى إننى ظننته سر ابتسامتك الحلوة وابتهاجك طوال الحفل . .

وتصمت (ندى) وهى تسمع كلمات عمتها التى ترى الدهشة الصادقة فى عينيها ؛ فتقول :

- (ندى) الحياة تحتاج المواجهة . . مواجهة الحقائق من حولنا . . لا الهرب منها أو تجاهلها أو تناسيها . . حاولى أن ترى الحياة من حولك . . عيشى فى الحاضر وليس مع أطياف الماضى . .

وتقبلها على جبينها . . وتغادر الغرفة . .

وتسأل (ندى) نفسها . .

أحقًا هى لا ترى الحياة من حولها ؟

من قبل . . كان هناك حب (أحمد) الذى لم تره أو تشعر به ؟!

ثم (هشام) الذى رأت منه حبًا حقيقيًا رائعًا وكان زيفًا وخداعًا . .

واليوم إعجاب (شريف) بها الذى لمحته عمتها ، ولم تلمحه هى ؟!

ما الذى يحول بينها وبين الحقائق حولها ؟!

أهى حيرتها . . أم وحدتها . . أم عذابها . . ما بين هذه وتلك . .

وإلى متى ستظل حائرة ؟

ما بين ذكريات الماضى . . ووحيدة لا شىء أمامها . . ولا شىء تملكه إلا تلك الذكريات . . .

إلى متى ؟!

وقبل أن تنام تتذكر ذلك الحلم الذى حلمت به عصرًا ، والذى كان هو السر وراء ابتهاجها وابتسامتها اليوم . .

وراح شعور ينمو داخلها بأن (أحمد) سيعود قريبًا . . هكذا قال إحساسها فى الحلم . . ولكن ترى هل سيستطيع أن يعود إلى هنا ؟!

إلى القاهرة . . إلى شقتهم فى المعادى ؟!

لا . . إنه لن يعود إلى هنا ؟!

لن يستطيع أن يعود ثانية إلى تلك الأماكن التى عاش فيها مع (سلمى) ؟!

وتتذكر الإسكندرية وابنة خالة والدته التى تقيم هناك . . حتمًا لو عاد فسيذهب إلى هناك ؟ وتقرر أن تسافر . . لتنتظره . .

☆ ☆ ☆



الفصل الثالث

إنه إنسان رائع يا (سلمى) !!

وتحاول (سلمى) أن تخفى ذلك القلق والخوف اللذين تشعر بهما .. وسؤال مخيف يتردد داخلها ..

هل (ندى) فى طريقها للحب ؟؟

هل مس ملاكه الساحر قلبها البرىء الصغير ؟

إنها دائمًا تخشى الحب .. تهرب منه.. ولكن لماذا هذه المرة ؟؟

لماذا لا تريد أن تهرب منه ؟؟

لماذا تود لو أنها تبقى إلى جواره دائمًا ؛ لتشعر بذلك الحنان الذى يحيطها .. ؟ لماذا تود لو غرقت فى بحر عينيه ؟

لماذا لا تريد للوقت أن ينتهى وهى معه ..؟

العاشر من يوليو ـ الخامسة إلا دقائق ـ

محطة مصر للسكك الحديد ـ القطار المتجه إلى الإسكندرية

١ ـ مصادفة ...

« إلى ملاكى الذى يكمل عامه العشرين اليوم .. مع حبى .. (أحمد) » .

كان هذا هو الإهداء الذى كتبه لها حين أهداها تلك الرواية فى عيد ميلادها العشرين ، حينها فرحت كثيرًا بهديته ، كانت قد قرأت الجزء الأول من تلك الرواية وبحثت كثيرًا عن الجزء الثانى ولم تجده ، وفى مرح سألته :

ـ كيف عثرت على هذا الكتاب ؟ إننى أبحث عنه منذ فترة طويلة ، ودون أن تنتظر إجابته التفتت إلى (سلمى) ، وقالت :

ـ أنت من أخبرته بأننى أبحث عن هذه الرواية ، أليس كذلك ؟

ولم تلتفت إلى ذلك الإهداء الذى كتبه لها .. لم تلتفت إلى أى شىء كان (أحمد) يفعله من أجلها ، كانت ترى خوفه عليها هو امتداد لخوفه على (سلمى) و . . .

« أهذه حقيبتك يا آنسة ؟ » .

ترتعش لسماع تلك العبارة ، ليست العبارة هى التى أحدثت فيها هذا الأثر بل صوت صاحبها .. إنه هو (هشام) ، وهى ترفع بصرها إليه تمنت ألا يكون هو .. أن يكون مجرد تشابه أصوات كما تتشابه الوجوه ، ولكنه كان هو (هشام) .. ها هى ملامحه التى كم اشتاقت لتراها ، وها هو وجهه الذى حلمت به كثيراً .. وها هو (هشام) الذى حمل إليها الحب والحنان والأمان بنفس اليد التى امتدت إليها بالخيانة والخديعة و ..

« إننى أتحدث إليك يا آنسة .. هل هذه الحقيبة تخصك ؟ » .

هزت رأسها إيجاباً وتناولت حقيبتها من فوق المقعد المجاور لها ليجلس هو إلى جوارها وتعود هى لتنظر أمامها ، وترجع رأسها إلى الخلف وكل كيانها لا زال يرتعش وقلبها ينبض فى سرعة .. وهى لا تصدق أنها من جديد تلتقى به وتحمد الله أنها ترتدى ذلك المنظار الشمسى الداكن اللون الذى جعله لا يتعرفها وبعد دقائق تهدأ وتسترخى فى مقعدها وتتعجب لتلك المصادفة التى تجمعها به من جديد بعد أعوام ثلاثة من فراقهما .. بعد أن أخرجته من حياتها ؛ فهى ترفض خيانته

وخديعته لها .. وهى ترفض أن تكون مجرد قصة فى حياته يبدأها متى يريد وينهيها متى يشاء .. ويبدأ القطار فى التحرك من القاهرة وتطوف الذكريات بذهنها .. ذكريات الحب الوحيد فى حياتها ..

« كانت تعيش أجمل أيامها .. » .

عندما دخل (هشام) حياتها ، كانت تعيش أجمل أيامها ، كانت قد خطت أول خطواتها على طريق الحياة الجامعية خطوة أحلى ما بها أنها إلى جوار (سلمى) .. وأهم ما فيها أنها خطوة قربتها من عالم تحبه هو عالم « الأدب » كانت تعشق الأدب وعالمه الزاخر بعوالم مفتوحة لا حدود لها .. ولذا أحبت دراستها وتفوقت بها ـ وأكثر ما تميزت فيه هو « النقد » ـ فلقد قرأت كثيراً من الأعمال الأدبية والمسرحية حتى صارت ناقدة أدبية دون احتياج لدراسة ، ولذا تفوقت فى دراستها ، لأنها أحبتها بعمق وبصدق ، ويمر العام فى سرعة ككل الأوقات الحلوة الجميلة ، وتعلن نتيجة هذا العام وتكون هى من أوائل طلبة السنة الأولى وتفرح بها (سلمى) كثيراً ، وتبدأ الإجازة حيث تقضيها بالإسكندرية فى ضيافة خالتها ، وتسافر (سلمى)

معها وأحيانًا يسافر (أحمد) لقضاء بعض الوقت معهما . . ويدعوهم إلى عرض سينمائى أو مسرحى أو لقضاء يوم فى مدينة الملاهى ، وتعيش (ندى) مع (سلمى) أحلى أوقاتها . . بل أحلى أوقاتهما معًا . . ويبدأ عام دراسى جديد . .

« أتذكرين (مصطفى سليمان) يا (سُمية) ؟ » .

نطق الأب بهذا السؤال ، وهم يتناولون طعام الغداء فى إحدى المرات القليلة التى يشاركهم فيها طعام الغداء ، وتبتسم العمة ، وتقول :

ـ ومن ينسى إنسانًا مثله . . كان إنسانًا دِمث الخلق كريمًا .

وتسأله فى اهتمام :

ـ هل التقيت به فى إحدى زياراتك للإسكندرية ؟

يقول فى أسف :

ـ العمر الطويل لك يا (سمية) ، لقد توفى (مصطفى) منذ عشرة أعوام أو تسعة . .

ـ توفى ؟!

ـ « إنا لله وإنا إليه لراجعون » .

وتلتفت إلى أخيها تسأله :

ـ إنك لم تذكر لى شيئًا كهذا من قبل . . ولا أذكر أنك سافرت لتقدم واجب العزاء لزوجته . .

ـ نعم . . فأنا لم أعرف إلا بعد مرور عام أو أكثر ، ورأيت أنه من غير المناسب أن أذهب لأقدم واجب العزاء بعد كل هذا الوقت . . كانت آخر مرة قابلته فيها قبل وفاته بعامين ، وكانت مصادفة فى القاهرة واليوم التقيت بابنه . .

ـ آه إننى أتذكر أن له ابنًا فى عمر (خالد) ابنى وطفلة فى عمر (ندى) أو تكبرها قليلاً . .

ـ تلك الطفلة التى تتحدثين عنها زوجة الآن ولازالت تدرس حتى بعد زواجها . .

ـ وابنه . . كان اسمه (هشام) على ما أتذكر . .

ـ لقد صار معيدًا بكلية الآداب وحصل على درجة الماجستير قريبًا . .

ويسأل ابنته :

ألا تتذكرين أنك سمعت بهذا الاسم يا (ندى) . . (هشام مصطفى سليمان) ؟

ـ لا أظن يا أبي ربما هو معيد بآداب عين شمس أو حلوان . .

وتسأل والدها فى اهتمام :

ـ إنك تتحدث عنه باهتمام وفخر كما لو أنه ابنك ، وليس ابن صديق لك . .

ولا يجيب الأب بل تجيب عمتها :

ـ لو أنك عرفت والده ومدى الصداقة التى كانت تجمع بينه وبين والدك لعرفت لماذا يحبه والدك هكذا . .

ويتحدث الأب :

ـ إنه يشبه (مصطفى) رحمه الله كثيرًا . . وهو شاب مهذب ومجتهد . . وتضحك (ندى) وتقول :

ـ أكل ذلك لأنه عُين بالجامعة ونال درجة الماچستير . . غدًا ترى ابنتك زميلة له يا أبى لتفخر بى مثلما تفخر به . .

وأنا أنتظر ذلك اليوم فعلاً يا (ندى) . .

☆ ☆ ☆

٢ ـ هـل سيأتـى ؟؟

كانت تضيق بهذا الجو كثيرًا ، جو تلك الحفلات التى يجب أن تلعب فيها دور المضيفة ربة المنزل ، فترحب بكل المدعوين وتبتسم لكل من تراه ، وتشرف على إعداد الطعام والشراب وكل ما يلزم الحفل ، ولا تدرى ما الذى دفعها لأن تذهب إلى هناك . . إلى حيث تشعر بالراحة والهدوء . . إلى حجرة المكتب ، إنه المكان الوحيد الذى اختارته فى الفيلا بنفسها .

لم تدع مهندس الديكور يتدخل فى أى شىء بها ، هى التى اختارت أثاث الحجرة وإضاءتها وتوزيع الزرع بها واللوحات الفنية ، والمكتبة أهم ما فى الحجرة ، وقد منحها والدها مبلغًا ماليًا هائلاً لتشترى كل ما تود أن تشتريه ، فأشترت كل ما كانت تحلم باقتنائه من كتب وروايات ومجموعات كاملة للأدباء العالميين والمحليين . . ربما كانت تلك الحجرة هى كل ما أسعدها حين انتقلوا للإقامة هنا .

وهى تقترب من الحجرة ، وقبل أن تخطوة خطوة داخلها رأته ، كان يقف يتأمل مكتبتها . . يتأمل ما بها . .

من كـتـب ، وتمر عـيناه بكل رف من أرفف المكتـبـة ويتوقف عند كل كتاب . . ربما ليتذكر شيئًا عنه أو عن كاتبـه ، ويمر وقت طويل ، وهو لا يمل الوقوف ولكنه ينظر إلى ساعـة يده ، ويقـرر الانصـراف ومـغـادرة الحجرة ، وما إن يستدير حتى يرى (ندى) وقد وقفت هناك عند باب الحجرة ، وابتسامة حلوة تعلو شفتيها ولكنها ترتبك حين يراها واقفة هكذا تراقبه وفكرت أن تعتذر له ولكنها نطقت بشىء آخر :

ـ هل أعجبتك المكتبة ؟

ظل واقفًا مكانه ، لم يتقدم نحوها خطوة واحدة ، وقال :

ـ إنها تحفة أدبية وفنية . .

وعاد ينظر إلى المكتبة ، ويقول :

ـ إن ترتيب ما بها من كتب يدل على ثقافة أدبية هائلة ، أما المكتبة نفسها فهى تحفة فنية تدل على ذوق رائع . . ذوق رقيق كصاحبته . .

ثم يلتفت إليها متسائلاً :

ـ أنت (ندى) أليس كذلك ؟

تومئ برأسها فى صمت باسم منتظرة أن يعرفها بشخصه ، ولكنه لا يفعل ، ويظل واقفًا مكانه مرسلاً إليها بنظرة ملؤها التأمل وابتسامة صغيرة تعلو شفتيه ، وهو يقول :

ـ لقد شعرت بأنك هى رغم أنك تغيرت كثيرًا عن آخر مرة رأيتك بها . .

دهشت لحديثه المتبسط معها ، وهى لا تعرف بعد من هو ، ويقطع الحجرة متجهًا للناحية الأخرى التى تضم المكتب ، ويمسك من فوقه ببرواز فضى أنيق يضم صورتها وهى فى الخامسة من عمرها تجرى فى حديقة الحيوان ، ويتأمل الصورة ويسألها :

ـ أتذكرين هذه ؟ أتعرفين من الذى التقط لك هذه الصورة ؟

هى لا تعرف . . لقد وجدت الصورة وسط أوراق وصور يحتفظ بها والدها فى مكتبه بشقتهم فى المعادى ، وعندما بدأت تأثيث حجرة المكتب ، اختارت لها هذا المكان فوق المكتب ، واشترت لها هذا البرواز الفضى ، ولكنها لم تسأل والدها عنها . .

« إنه والدى ـ رحمه الله ـ ، والصورة التالية لها كانت لى وأنا أجرى وراءك خوفًا من أن تصطدمى بأحد المارة ، وتقعى وسط الزحام » .

وتتذكر حديث والدها عنه .. فتسأله :

ـ أستاذ (هشام) أليس كذلك ؟

ابتسمت لها عيناه ، وهو يقول :

ـ مكتبتك رائعة .. تحفة ، أتسمحين لى أن أستعير منها بعض الكتب و ...

ويأتى والدها فى تلك اللحظة ، ويقول له فى ود حقيقى :

ـ المكتبة كلها تحت أمرك يا (هشام) ولكن ليس الآن ، فيجب علينا أن نعود للحفل ونشارك المدعوين فى الاستمتاع به ، وغدًا تأتى لترى المكتبة وتستعير منها ما تشاء ، فالبيت بيتك ..

ويلتفت لـ (ندى) قائلاً :

ـ أليس كذلك ؟!

تقول ابنته فى ابتسامة حلوة :

ـ بالطبع يا أبى ..

وتضحك قائلة :

ـ وباب الاستعارة مفتوح منذ الغد ..

وتسير إلى جواره عائدة إلى الحفل ، وهى تلحظ ذلك الود والحب فى تعامل والدها معه .. وتسأل نفسها .. ترى هل هو يعمل فى كليتها ، ولكنها لم تره من قبل ولم تسمع باسمه ، وفكرت أن تسأله ولكنه كان يتبادل الحديث مع والدها .. فلم تسأله .. ومر الحفل وانشغلت عنه ولم تسأله ..



« ترى هل سيأتى غدًا حقًا ؟ » .

كانت تفكر فى هذا الأمر وهى تضع رأسها على وسادتها ، واستعادت تلك اللحظة التى رأته فيها .. وهو يستدير ليراها واقفة عند باب الحجرة .. إنه وسيم وسامة لا تدرى مصدرها .. أهو تناغم ملامحه مع بعضها .. والتى تبدو وكأنها خُلقت لتصنع صورة لوجه جميل متناسق ، ينطق كل شىء فيه بالرجولة

والثقة والاعتزاز بالنفس ، أم هى شخصيته التى توحى بكل ذلك ، رغم بساطة ملابسه إلا أنه كان أنيقًا بلا تكلف ، أما صوته فهو صوت دافئ هادئ يشعرك بالود والألفة ولا تدرى ما الذى يشدك نحو هذا الرجل . . أهو وجهه الوسيم أم صوته الدافئ أم ابتسامته الصغيرة . . لا تدرى . . ويعود السؤال من جديد . .

« هل سيأتى ؟ » .

« هل ستراه من جديد ؟ » .

☆ ☆ ☆

٣ ـ ومرة أخرى تتساءل .. هل سيأتى ؟

مر الوقت سريعًا بين حديث والدها عن ذكرياته مع صديقه (مصطفى) وتلك الصداقة الحلوة التى كانت بينهما ، والتى امتدت لتشمل الأسرتين معًا ، وكيف كان والد (هشام) ـ رحمه الله ـ حريصًا على ألا تنقطع تلك الصداقة أبدًا فهو دائمًا يدعوهم لقضاء يوم الجمعة معهم سواء فى المنزل أو فى أحد المتنزهات العامة .

ويروى الأب كيف وقف صديقه إلى جواره حين قرر ترك الوظيفة الحكومية والاشتغال بالعمل الحر والتجارة رغم عدم اقتناعه بهذه الفكرة ، إلا أنه يقف معه ويساعده متى احتاج إليه ، فهو يذهب معه لشراء البضائع للمحل ، ويساعده فى استخراج الرخصة والملف الضريبى ، ويقضى معه الوقت فى مراجعة حسابات المحل و . . يختم حديثه قائلاً :

ـ كان نعم الأخ والصديق ـ رحمه الله ـ ، حدثنى عن حياتكم فى الإسكندرية يا (هشام) فأنا لم أزركم سوى مرات قليلة .

ويروى (هشام) فى عبارات موجزة كيف أن والده لم يسعد كثيراً حين علم بأمر ترقيته الوظيفية ؛ لأنها مقترنة بنقله للعمل فى الإسكندرية ، ولكنه لم يجد مفراً من أن يقبل الترقية وينفذ النقل ، وانتقلت الأسرة معه وشعروا جميعًا بالغربة فى البداية ، ثم سرعان ما اكتسب والده حب وثقة زملائه ورؤسائه بل ومرؤسيه أيضًا ، وصارت لهم حياة اجتماعية هناك .

ويرتقى والده فى سلمه الوظيفى حتى يفاجئه المرض ، ولكنه يقاوم ويرفض أن يترك العمل فى إجازة مرضية ، ولكن صحته لا تحتمل والمرض يزداد تمكنًا منه ويتطلب الأمر نقله إلى المستشفى ويقيم بها ، ولكن قضاء الله يأتى .. فلا راد له ويرحل الأب الطبيب العظيم ..

ويصمت (هشام) لحظات ، وهو يتذكر ذلك اليوم ثم يكمل حديثه :

- ومرت بنا أيام حزينة كئيبة بعد وفاة والدى - رحمه الله - كان كل ما فى البيت ينطق بالحزن لمفارقة أبى ، ولكن هذا لم يمنع والدتى من إكمال مسيرتها معنا وراحت تدعونا لأن نستذكر دروسنا بتفوق كما كنا دومًا ، وتجلس إلى جوار أختى تستذكر لها كما كان يفعل أبى .

كانت تنسى أحزانها بدفعنا إلى النجاح ولكننا لم نكن بمثل قوتها .. كانت صدمة وفاة والدى وكل ما مررنا به بعد وفاته قد أثرت كثيراً على استذكارى وتركيزى .

واجتزت امتحان الثانوية العامة لأحصل على مجموع لا يؤهلنى للالتحاق بالطب أو الهندسة كما كنت أتمنى لنفسى .. حدثت والدتى برغبتى فى أن أتقدم للامتحان مرة ثانية ، ولكنها حينها سألتنى « أتحب الطب أو الهندسة كما تحب الأدب يا (هشام) » وكأنها تشعر بى .. تشعر بأننى كنت أحلم بالطب أو الهندسة من أجلها معتقداً أن هذا شىء سيسعدها ، ولكنها لم تفكر فى سعادتها بقدر ما فكرت فىَّ وفيما أحب وذكرتنى حينها بكلمات والدى - رحمه الله - من أنه يجب أن أختار المجال الذى سأتفوق فيه وأن أظل متميزاً وأن أجتهد كى أكون أستاذاً جامعياً .

وأتوكل على الله - سبحانه وتعالى - وأتقدم بأوراق التنسيق ، وأولى الرغبات بها كلية الآداب ، ولكن مجموعى لا يؤهلنى سوى لآداب عين شمس وليس آداب الإسكندرية كما كنت أتمنى ، ونعود من جديد للإقامة بالقاهرة وتمر الأيام بنا ونحتمل كل ما بها لأننا معًا .. وأتخرج فى الكلية لأعين بها بعد حصولى

على الترتيب الأول على مدى أربع سنوات وقبل أن أحصل على درجة الماچيستير تمرض والدتى ، وفى نفس الوقت يتقدم للزواج من أختى شاب مهذب طيب ابن صديق لوالدنا فى الإسكندرية ، وتوافق والدتى عليه بل وتلح فى أن يتزوجا بسرعة لتفرح بهما ، وكأنها تقرأ الغيب فى أيامها الأخيرة ، وما أن تطمئن على أختى حتى ترحل لتلحق بأبى وتتركنى وحدى .. بالقاهرة .. أزور أختى من حين لآخر لأطمئن عليها وأطمئن على سير دراستها و .. ها قد مر عام على رحيلها و .. » .

ويتوقف عن الحديث ثم يقول بعد لحظة صامتة حزينة :

ـ كنت أتمنى أن تحضر معى حصولى على درجة الماچستير ، وتشاركنى فرحتى ..

ـ البقاء لله وحده يا بنى .. وها قد عوضك الله بأسرة أخرى .. فأنت هنا ابن لى وأخ لـ (ندى) وابن لـ (سمية) أختى ..

ـ أشكرك يا عمى .. إننى واثق من هذا فكثيراً ما كان والدى يتحدث عن صداقتكما ، ويبتسم له الأب فى حب ثم يقول :

ـ والآن وقد أخذتنا الذكريات للماضى .. ما رأيكم أن نتحدث عن المستقبل ؟

تبتسم (ندى) لوالدها وتسأله :

ـ أى مستقبل يا أبى ؟ المستقبل بيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

يبتسم الوالد لها ، ويقول :

ـ مستقبلك يا (ندى) :

ثم يلتفت إلى (هشام) ويحدثه :

ـ إننى يا (هشام) أتمنى لـ (ندى) نفس أمنية والدك لك ، أن تتميز فى دراستها وتتفوق حتى تصير أستاذة جامعية ؛ لذا فسأترك لك أمر مساعدتها فى الدراسة إذا أمكن لك هذا بحيث لا يشغلك عن دراساتك للدكتوراه ..

ويجيبه (هشام) فى ود :

ـ هذا أقل ما يجب علىَّ يا عمى نحو (ندى) إنها أخت لى ..

دهشت (ندى) لهذا الطلب الذى طلبه والدها من (هشام) ، هى لا تتذكر أنه يومًا حدثها بأمنيته أن

تصير أستاذة جامعية حتى عندما أخبرته بأمر حصولها على المركز الأول بين أوائل طلبة السنة الأولى بكليتها لم يحدثها بشىء كهذا . .

تُرى لماذا طلب هذا منه ؟!

ربما أراد أن يشعره أنهم أسرته وأن يعتاد المجىء إلى زيارتهم !

ربما !!

وهى تستعيد حديثه عن والده ومرضه والظروف التى مرت بأسرتهم بعد وفاة والده . . أدركت لماذا طلب منه والدها هذا ؟ إنه يبغى أن يساعده دون أن يشعره بهذا ، ولكن هل سيتقبل (هشام) شىء كهذا ؟!

ومرة أخرى . . بعد أن تلقاه تجد نفسها مشغولة بالتفكير فيه ؟!

ومرة أخرى تسأل نفسها هل سيأتى ؟

« سيأتى اليوم فى السادسة مساءً ، هل يناسبك هذا الموعد ؟ » .

نطق والدها بهذه العبارة وهو يمسك بحقيبته استعداداً لمغادرة الفيلا ، كان متعجلاً كعادته ، كان

يلقى بالخبر - ليعلمها به - ولكن فرحتها لم تنسها أن تسأله :

- هل اتصلت به يا أبى ؟

- نعم . . نعم وأنا من حددت الموعد ، وعمتك ستكون هنا لتستقبله معك . .

ويغادر الفيلا وهى لا تزال واقفة مكانها ، تمر بها لحظات ثم تتذكر شيئاً ما فتسرع لتلحق بوالدها ولكنها تسمع صوت تحرك سيارته ، فتقف مكانها لا تدرى كيف ستعتذر لـ (أحمد) و (سلمى) . . إنه اليوم الذى اختارته لتذهب معهم للمسرح ، وهى من حددته منذ يومين . . فماذا تفعل ؟

« إذاً اليوم هو أول درس خصوصى لك فى الفيلا » .

قالتها (سلمى) ضاحكة فتنظر (ندى) إليها قائلة :

- نعم . . هكذا أخبرنى أبى قبل انصرافه صباحاً . . ألا تدركين معنى ذلك ؟

- لا . . لا أعلم سوى أنك ستجلسين لتقومى بحل مسائل الـ . .

تقطاعها (ندى) فى جدية ، وتقول :

- (سلمى) .. إننى أتحدث عن دعوة (أحمد) لنا اليوم ..

وتكف (سلمى) عن الضحك وتفكر لحظات ، ثم تقول :

- سأعتذر أنا له .. ولنؤجل الدعوة للغد أو بعد غد .. ها قد حُلت مشكلتك ..

كانت تحاول أن تبسط الأمر لها .. رغم معرفتها بأن (أحمد) لن يسعد لحدوث شىء كهذا ، فهو ينتظر ذلك اليوم فى بداية كل شهر بلهفة .. إنه اليوم الوحيد الذى يلتقى فيه بـ (ندى) ، فبعد التحاقه بالعمل ، وانتقال (ندى) للسكن فى مصر الجديدة ، وبعد بدء الدراسة من جديد صار لقاؤها أمرًا يعتمد على المصادفة وتلك المناسبات العائلية والاجتماعية التى تجمع الأسرتين وهى تعرف أن (ندى) تحتل مساحة من قلب (أحمد) ومساحة أكبر فى وجدانه ، هى لا تعرف كيف ومتى بدأ ذلك ، ولكنها متأكدة منه ، وها هى تنتظر ذلك اليوم الذى يغالب (أحمد) فيه خجله ويتخلى عن معاملة (ندى) كما يعاملها هى .. أخته .. وكلما شاهدتهما معًا تتساءل إلى متى يا (أحمد) ستظل صامتًا ؟ إلى متى ؟

وهى تراه عن قرب ، تتحدث إليه ، تنظر إليه من حين لآخر ، وهو يقرأ وهى تستمع إلى شرحه تتعرف وجهات نظره فى بعض نقاط الدراسة تشعر نحو هذا الرجل بالإعجاب وربما الانبهار .. ولكن ما إن تنظر إلى عينيه محاولة استشفاف ما وراءهما حتى تعصف بها حيرة شديدة .. عن أى شىء يبحث هذا الرجل ؟ هكذا تسأل نفسها ثم تعود من جديد لتحاول فهمه ولكنها تفشل .. إنه حينًا شخصية قوية طموحة ذكية ، يفرض على كل من حوله احترامه وهيبته ، جاد لدرجة لا تتخيل معها أن هذا الإنسان قد يضحك أو حتى يبتسم .

وحينًا تراه كمن يبحث عن شىء ضاع منه ويورثه بحثه هذا شيئًا من الحيرة والارتباك وهو لا يجد ما يبحث عنه فيشعر بشىء من الحزن واليأس ، أما حين يضحك فتسبق عيناه شفتيه فى الابتسام فتنير ابتسامتها كل وجهه ، فيبدو وكأن كل شىء فيه يضحك ويبتهج حتى لتسعد حين تراه يضحك تلك الضحكة القصيرة ..

ولكنه دومًا مهذب .. رقيق .. حنون .. حتى فى قمة جديته هو حنون يشعرك أن تلك الجدية والصرامة إنما منبعهما الحرص على (ندى) وتفوقها .

اعتاد أن يأتى فى السادسة وينصرف فى التاسعة إلا فى تلك المرات القليلة التى تصادف انصرافه مع عودة والدها من العمل مبكرًا على غير عادته ، حينها يبقى بعض الوقت مع والدها ، ويصر الأب على أن يتناول معهما طعام العشاء .

وهى تجلس إلى جواره على مائدة الطعام ، تشعر بشعور آخر ، تسعد لحديثه مع والدها ، وهى ترى هذا الحب الذى يطل من عينى والدها تجاهه ، وكأنه يرى فيه صديقه الراحل ، تقدم له الطعام بنفسها ، تخبره أنها هى من أعدت هذا الصنف بنفسها ؛ فيثنى عليه ؛ فيعلق الأب قائلاً :

ـ كنت أنتظر أن تثنى على تفوقها الدراسى أولاً . .

ـ سيحدث هذا ـ إن شاء الله ـ يا عمى . .

وتسعد (ندى) لثقته فيها وتصر على أن تبقى دومًا متفوقة . .

« هل تتابعين ما أقوله يا (ندى) . . » .

أفاقتها عبارته من شرودها ، وقالت بسرعة وفى ارتباك :

ـ نعم . . نعم . . لقد كنا نتحدث عن . . عن . .

وشعرت أنها تكذب كذبة واضحة ككذب الأطفال ، وضحك هو لهذا وقال :

ـ إنك لست تلميذة بالفصل ، ضبطتك مدرستك تتحدثين مع زميلة لك . .

وتضحك معه ، ويسألها فى اهتمام :

ـ فيم كنت تفكرين ؟!

ترددت لحظة فيما ستقوله ، ثم سألته :

ـ ألا تشعر بالوحدة أحيانًا حتى تورثك وحدتك هذه شعورًا بأنك غريب فى هذا العالم ؟

لم يندهش لسؤالها هذا ، ابتسم لها ثم قال :

أتعنين الظروف التى مررت بها ؟ وفاة والدى ثم اغترابى هنا ثم وفاة والدتى . . لا يا (ندى) . . إننى وسط هذا كله لم أشعر بالوحدة . . ربما شعرت بالحزن لمفارقة أبى وأمى . . ولكنهما دومًا معى . . فى وجدانى . . كما أن والدى قد علمنى أن الثروة التى لا تزول أبدًا هى الصداقة الحقيقية . . وعلمنى كيف أكتسب صداقة من حولى ، إنه لا يغيب عنى لحظة . .

كان يمنحنى الحب والحنان والرعاية والدفء ، وكانت أمى تبُث فىَّ العزيمة والقوة والاعتماد على النفس ، وكانت قدوتى دائمًا وخاصة بعد وفاة أبى . . وعندما وجدت نفسى مكانه . . منحت لأختى ما كان يمنحه لى من رعاية واهتمام وخاصة فى فترة المراهقة فكنت لها الأب والصديق والأخ فعوضتنى هى برعايتها لى بعد وفاة والدتى و . .

تقاطعة فى شرود :

ـ الوحدة أن تعيش مع أناس هم يشاركونك الحياة ، ولكن لا مكان لك فى تفكيرهم أو اهتمامهم ، وكأنها تتنبه لما تقول فتقطع حديثها هذا وتحاول أن تبتسم ، وهى تقول :

ـ جميل أنك لم تعش وحدتك حتى بعد وفاة والديك . .

ويدرك أنها لا تريد أن تتحدث ثانية فى هذا الأمر فيعود إلى متابعة ما كان يقرأه . .

☆ ☆ ☆

٤ ـ إنه إنسان رائع يا (سلمى) . .

ويمر شهران . . وفى كل أسبوع تنتظر قدومه فى السادسة ، تجلس إلى جواره ساعات ثلاثا . . حينًا يشرح لها وحينًا يتحدثان عن الكلية والأساتذة والدراسة والمواد الدراسية وفى إحدى المرات سألها :

« لقد تحدثنا كثيرًا عن الدراسة ، ولكننى لم أسألك أبدًا لماذا تحبين هذه الدراسة بهذه الدرجة ؟ » .

ومع سؤاله هذه المرة امتزجت داخلها ذكريات وذكريات . . تلك الظروف التى أحاطت بها منذ صغرها ، لقد اختارت الأدب ، لأنها تحب هذا العالم الجميل غير المحدود من الأماكن أو الأزمنة أو الشخصيات والأحداث والفلسفات والآراء ، أما لماذا تحب هذا العالم ؟ لأنه كان المفر الوحيد أمامها . . عالم تهرب إليه لتعيش معه وداخله ، فهى تشعر أنه لا مكان لها وسط العالم الذى تعيش فيه ، فاختارت أن تبحث عن عالم تعيش فيه ولو عبر الورق ، عالم تهرب فيه من انشغال والدها عنها بتوسيع تجارته . . وانشغال عمتها أولاً برسالة الماجستير ، ثم افتتاح عيادة خاصة بها وأحبت هذا العالم الذى هربت إليه . .

ولم يسألهـا أحد من قبل لماذا أحبت هذا العالم ، حتى عندما التقت بـ (سلمى) قربتـها منه أكثر وأكثر ، فهى مثلها تعشقه وتدرسه أيضاً ، وتجد أنها لا تستطيع أن تدرس شيئاً آخر غيره ، ولا تذكر له كل ذلك هى فقط تبحث عن صياغة لإجابة سؤاله لها ، فتقول له :

ـ لأننى أحببت هذا العالم منذ أول رواية قرأتها وأنا فى التاسعة أو العاشرة من عمرى .. و ..

ـ كنت تفرين من وحدتك فى عالمك إلى عالم آخر ..

نظرت إليه فى دهشة ولكنها تعرف أنه يعرف الكثير عنها الآن .. وهو لم يسأل هذا السؤال منتظراً إجابتها وهو يعرفها .. بل لينطق هو بها .. وكأنه يشاركها وحدتها ، وينظر إليها نظرة مليئة بالحنان الذى شعرت به يحيطها ويحتضن جسدها الضئيل ، ويسألها فى لهجة كالتى تتحدث بها للأطفال الصغار حين نتعرف عليهم :

ـ ألك صديقات غير (سلمى) التى تعرفتها الأسبوع الماضى ؟

وتبتسم ابتسامتها الرقيقة الحلوة ، وهى تتذكر (سلمى) وتقول :

ـ (سلمى) .. أنا لا أحتاج إلى صداقة أى شخص آخر سوى (سلمى) ..

إنها ..

ويقاطعها قائلاً ، وهو يربت على كفها الصغير أمامه فى حنان ودفء :

ـ وأنا يا (ندى) ..

ـ أنت ؟!

نطقتها فى دهشة من لهجته وليس من السؤال .. إن لهجته تدعوها لأن تقبله لا كصديق بل كإنسان أقرب من ذلك كثيراً .. لمسته الدافئة الساحرة التى تحيط بكفها باعثة الدفء فى كل جسدها تقول أكثر من ذلك ، ولكن نظرة عينيه الحنونة تقف على الحياد ما بين لهجة سؤاله وما بين معناه .. وتحتار .. لا تدرك .. ما الذى يعنيه .. ولا تجد أمامها إجابة تجيب بها ويسألها :

ـ أهو سؤال صعب لهذه الدرجة .. ألم تسألى نفسك ولو مرة واحدة .. أين أنا من حياتك ؟..

وتطل الحيرة واضحة من عينيها .. ويبتسم وهو يرى حيرتها وارتباكها ، وقبل أن تسحب يدها من كفه ينهض هو قائلاً :

ـ أعتقد أن هذا هو موعد انصرافى ..

وتسير إلى جواره حتى باب الفيلا كالتائهة .. وينصرف دون أن يلتفت إليها ، وفى خطوات شاردة .. تعود إلى حجرة المكتب ، وتبقى هناك لحظات ، وكأنها تفيق من كل ما حدث حولها .. ثم تهمس لنفسها فى عتاب ..

« ماذا بك يا (ندى) ؟ ماذا بك ؟! » .

ولكنها حقًا لا تدرى ماذا بها ؟!

إنها حقًا لا تعرف إجابة سؤاله .. أين هو من حياتها ؟!

وهى لا تريد البحث عن إجابة للسؤال .. فمحاولة البحث عن إجابة ستصل بها مرة أخرى للحيرة والارتباك .. وتحاول أن تنسى ذلك السؤال ..

« إنه إنسان رائع يا (سلمى) .. » .

كانت هذه عبارتها لـ (سلمى) وهى تسألها ضاحكة « كيف تسير الدروس الخصوصية معك ؟ » .

كانت (سلمى) تقولها ضاحكة غير متوقعة أن تجيب (ندى) بمثل هذه العبارة فتتطلع إليها باهتمام ، وتتخلى عن ضحكتها وهى تتابع حديث (ندى) ..

ـ كل يوم أكتشف فيه شيئًا رائعًا .. رقته .. حنانه .. اهتمامه الشديد بى .. فى البداية كنت أجد صعوبة فى أن أفهمه ، ولكننى الآن أتعامل معه وكأننى أعرفه منذ زمن بعيد و ..

وتبتسم ، وهى تقول :

ـ كان أبى محقًا فى ثقته الكبيرة به و ..

وتحاول (سلمى) أن تخفى ذلك الخوف والقلق اللذين تشعر بهما ، وسؤال مخيف يتردد داخلها .. سؤال تكمن فيه سعادة أخيها أو شقاؤه ؟!

هل (ندى) فى طريقها للحب ؟!

هل مس ملاكه الساحر قلبها البرىء الصغير ؟!

أم هو مجرد إعجاب بشخصيته .. إعجاب لن يتحول لشىء آخر ؟!

☆ ☆ ☆

٥ ـ كأنه يعيش صراعًا داخله ..

شىء به يتغير .. كأنه يعيش صراعًا داخله .. صراع قوى .. وهى تشعر بأنها طرف فى هذا الصراع ، وإلا لما كان تقلبه فى أسلوب معاملته فى المرة الواحدة أكثر من مرة .. حينًا يكون فى منتهى الرقة والحنان .. يعاملها كأنه يدلل أخته الصغرى ، وحينًا يعاملها فى خشونة وقسوة ، وكأنه يفتعل ذلك أو يتظاهر به عن قصد ..

وهى لا تدرى ماذا تفعل ، إنه لا يترك لها فرصة لتسأله .. وتبوء كل محاولاتها لتعرف ماذا به بالفشل ، والامتحانات أصبحت وشيكة ، وهى تريد الحفاظ على تفوقها فمهما كان ما يحدث منه الآن إلا أنه سيسعد كثيرًا لنجاحها وتفوقها .. ولذا تحاول أن تحتمله ، ألاَّ تتأثر حين يكون خشنًا فى تعامله معها وربما هو أدرك هذا ، وهو يتوقف عن الشرح ، ويقول :

ـ (ندى) هل لى أن أتوقف قليلاً لنتحدث ؟

وكان واضحًا أنها تنتظر حديثه هذا ، فتحدث دون أنتظار إجابتها :

ـ أعرف أنك تلاحظين أننى فى الفترة الأخيرة كنت عصبيًا بعض الشىء وأنا مدين بتفسير لك .. فلقد تحملت عصبيتى تلك وأنا أشكرك لذلك ..

ولا تنطق بشىء إنها حائرة .. هل تفرح لحديثه أم تخاف أن يعود لأسلوبه الجاف الخشن بعد لحظات ، ووجدت نفسها تغمغم :

ـ لنتحدث بعد الامتحانات ..

ويسألها وابتسامته الحلوة تعود إليه :

ـ بالمناسبة أين ستقضين إجازة نصف العام ؟

شعرت بالاطمئنان لعودة ابتسامته التى لم ترها منذ أسابيع وأجابته :

ـ سأسافر إلى الأقصر وأسوان فى رحلة تنظمها الشركة التى يعمل بها (أحمد) ، فلقد اشتركنا فيها أنا و(أحمد) و(سلمى) و ..

ويقاطعها فى غضب وعصبية :

ـ ألا يوجد فى حياتك سوى (أحمد) و(سلمى) .. ألا تشعرين بأحد سواهما ..

وقبل أن تنطق بأى شىء كان قد غادر الحجرة وبعد لحظات سمعت صوت الباب يُغلق وهذه المرة .. غرقت وسط حيرتها ولم تر أى شاطىء ترسو عليه ..

ودون أن تروى شيئًا لـ (سلمى) كانت (سلمى) تشعر بها .. وربما استنتجت أن (هشام) هو سر حيرتها هذه فسألتها :

ـ هل بدأ (هشام) مراجعة المقررات معك تمهيداً للامتحانات ؟

تتنهد (ندى) فى حيرة :

ـ أظن أنه لن يأتى هذا الأسبوع ..

ـ لماذا ؟!

تتردد (ندى) فى أن تروى لها .. إنها تروى لها عن كل شىء فى حياتها .. حتى (هشام) جعلتها تراه منذ أسابيع حين صممت أن تتناول معها طعام الغداء ، وتبقى معها حتى السادسة موعد مجيئه وقدمته لها .. وجلست معه بعض الوقت يتحدثان عن الدراسة والكلية وانصرفت ، ولكنها لا تستطيع أن تروى لها ما حدث منه .. لا تستطيع أن تخبرها أنه واجهها بثورة حين

علم بأمر سفرها معها ومع (أحمد) .. على الأقل حتى يتحدث ، هو وعدها بتفسير كل هذا الذى يحدث منه ؟ ربما حينها تستطيع أن تروى لـ (سلمى) ، وتجيبها :

ـ لا أعرف .. أظن أنه سيكون مشغولاً بالإعداد للامتحانات فى كليته ..

وتدرك (سلمى) محاولة (ندى) لإخفاء شىء ما عنها ولكنها تنتظر .. فحتماً ستروى لها ...

« ولكنه أتى .. » .

كانت هذه هى الحقيقة التى أعلن عنها جرسه المعتاد فى السادسة ، واهتز كل كيانها فرحاً لأنها ستراه بعد أن ظنت أنه لن يأتى ، وأسرعت لتفتح الباب ، ولكن ما إن رأته حتى أخفت فرحتها هذه وقابلته بوجه خالٍ من أى تعبير وبأسلوب رسمى قادته إلى حجرة المكتب وهناك ساد الصمت بينهما ، وكلاهما يتحاشى النظر إلى الآخر حتى تحدثت هى :

ـ ماذا سنراجع اليوم ؟!

والتفت إليها ، وهو يقول :

ـ ليس قبل أن أعتذر لك عما حدث فى الأسبوع الماضى فلقد كنت . .

ولا يكمل عبارته فتسأله فى مرارة :

ـ كنت ماذا ؟

تبتسم عيناه لها ، ويقول :

ـ على أية حال لقد وعدتك بأن أفسر لك كثيراً من الأشياء ، ولكن ليس الآن . . أليس كذلك ؟!

ـ تبتسم لابتسامته وتشعر أنه قد عاد كما اعتادته دوماً . . وأن ذلك الصراع الذى كان يعيشه قد انتهى . .

وهو يودعها هذه المرة قرأت فى عينيه شيئاً . . بل أشياء . . لهفة . . شوق . . حب . . أشياء جعلت البهجة تمس قلبها . . . شىء كالسحر لا تدرى سر ما يفعله بها . . بل سر كل ما يحدث ، وهو يصافحها يعود إليها إحساسها بالدفء والحنان ، وتسرع لتسحب يدها من بين أصابعه ، ويقول لها :

ـ أسبوعان لن أراك فيهما .

وخشيت أن تذكر أن ذلك بسبب سفرها مع (أحمد) و (سلمى) لكيلا تعود إليه ثورته الغاضبة ، فقالت :

ـ سأتصل بك فور عودتى للقاهرة . .

وتشعر به لا يريد مغادرة الفيلا . . وهو يواجهها بتلك النظرات المتأملة ، وكأنه يريد رسم صورة لها فى عينيه . . صورة لا تزول وتمر لحظات وهى تشعر بالارتباك والخجل ، وتهرب من عينيه . . فيعود ليبتسم ، وهو يقول :

ـ لا تجعلى سعادتك لقدوم الإجازة تفقدك تركيزك غداً . . وينصرف . .

☆ ☆ ☆

٦ ـ لا تستسلمى للحب .. اهربى منه ..

أسرعت إلى حجرتـهـا .. ودقـات قلبهـا تـزداد وتزداد .. وما إن تهدأ قليلاً وتستلقى على فراشها حتـى يرتـفع صوت داخلها .. « إن كل ما تعيشينه وهم » .. ويرتفع ذلك الصوت داخلها .. « وهم .. وهم .. » ، هى تـعـرف ذلك الصـوت إنـه صـوت هذا الخـوف الكامن داخلهـا .. ذلك الخـوف الذى صـار صديقها الوحيد منذ طفولتها ..

عندما كانت فى المدرسة الابتدائية كانت (أميرة) هى صديقتها الوحيدة ، كانت تحبها بشدة هى لا تعرف ذلك الحب ، ولكنهـا تحبـهـا .. تبكى لو أنهـا ذهبت للمدرسة وغابت (أميرة) ، تبكى لو عاقبتها مدرستها بالجلوس فى آخر الفـصل بعيـداً عن (أمـيـرة) ، بل وتبكى لو عـاقب أحد المدرسين (أميرة) وضربها .. ويأتى العام الجديد لتسأل عن (أميرة) لتـعرف أنها عــادت إلى بلدتهـا (بورسعيـد) التى كانـت تـروى لـ (نـدى) عنـهـا وتبكـى وتبكـى .. ولا تنسـاها أبدًا

ولا تنسى كلما التقت بزميلة لها أن تسألها عن بلدتها ، وتقرر ألا تصاحب أى فتاة تكون بلدتها أى محافظة أخرى غير القاهرة .. وقليلون كانوا أصدقاءها ..

وفى المرحلة الإعدادية تحب (مس بثينة) مدرسة اللغة الإنجليزية ، وترتبط بها وكانت (مس بثينة) فعلاً تحبها وتحنو عليها ، ولم ترفض أن تذهب إليها فى منزلها ـ بعد أن عرفت ظروفها ـ لتساعدها فى استذكار دروسهـا .. ويزداد ارتبـاط (ندى) بهـا وتفرح حينما تخبرها أنها ستتزوج قريبًا ، تفرح لأنها ستراها فى ثوب الزفاف ، ويُقام لها حفل عُرس سوف تحضره حتى لو لم يوافق والدها ستحضره حتى لو ذهبت بمفردها ، وتسألها معلمتها :

ـ ألن تسألينني أين سأقيم ؟

تبتسم الصغيرة لها :

ـ أين يا (مس بثينة) ؟

وتخشى مدرستها أن تخبرها هى تعرف ما سيفعله الخبر بها ، ولكن لا مفر أمامها من ذلك ، وتجيبها :

سأقيم فى بيت جميل وواسع فى مدينة نصر ..

ولا تدرك (ندى) معنى ذلك ، فـ (مس بثينة) ستظل مدرستها حتى لو تزوجت ، حتى لو أقامت فى مدينة نصر ستظل مدرستها ، وتكمل مدرستها الحديث :

ـ وسوف أنتقل للعمل بمدرسة هناك ولكننا سنظل دومًا على اتصال و . .

ولكنها تعرف بأن هذا لن يحدث سترحل كما رحلت (أميرة) من قبل . . لقد تعلمت هذا أن الحياة تحرمها من كل من تحب . . كما حرمتها من أمها . .

وفى المرحلة الثانوية . . تتحدث زميلاتها عن الحب والخطوبة والزواج . . يتحدثن عن الحب وقصص الحب . . كل منهم تحلم بذلك الشاب الذى تعيش معه قصة جميلة رائعة . . ولكنها لا تحلم مثلهن . . إنها تعيش قصص حب فى خيالها . . قصص كثيرة . . ولكنها ليست قصصًا حالمة تنتهى نهايات سعيدة كالتى تحلم بها زميلاتها . .

حينًا تتخيل نفسها وقد عاشت قصة حب مع شاب ، يسافر بعيدًا يعدها ألا ينساها . . ويعدها بأنه سيعود ولكنه لا يعود . . لا يعود . . وحينًا ترى نفسها بطلة فى قصة بلا بطل . . قصة عنوانها حب من طرف واحد . .

قصة تبدأ بالعذاب وتنتهى بالألم ، وحينًا ترى نفسها وقد وجدت ذلك الرجل الذى يمنحها كل الحب الذى تبحث عنه ، وتمنحه هى كل مشاعرها وقلبها ، ويملك كل وجدانها ، وتعيش معه قصة حب أحلى من كل القصص التى قرأتها ، ولكن قصتها هذه تنتهى بالألم . . والعذاب ، تنتهى بخيانته لها . .

إنها دائمًا تخشى الحب وتهرب منه . . ولكن لماذا هذه المرة ؟ هى لا تريد أن تهرب ؟! لماذا تود لو أنها تبقى إلى جواره دائمًا لتشعر بذلك الحنان الذى يحيطها به ؟ لماذا تود لو غرقت فى بحر عينيه ؟! لماذا لا تريد للوقت أن ينتهى وهى إلى جواره ؟؟ لماذا ؟

ويرتفع الصوت داخلها من جديد . .

« إنه وهم . . وهم . . » .

وتحتار ما بين ذلك الصوت . . صوت خوفها . . وبين قلبها . .

وتتلاشى حيرتها . . تضيع . . تنساها أو تتناساها وسط أوقات جميلة وممتعة عاشتها مع (سلمى) و(أحمد) فى مدينة الأقصر وأسوان ، ومع قرب

انتهاء الرحلة وعودتها للقاهرة . . ولقاءها به . . تعود حيرتها لها . . وتعيش صراعًا داخلها . .

وتسألها (سلمى) :

ـ ماذا بك يا (ندى) ؟!

ماذا بى ؟ أتشعرين أن شيئًا قد تغير بى . . ألا يكفى أننى معك أنت و(أحمد) ، ووسط هذه الأماكن الساحرة لأكون سعيدة . .

تسألها فى اهتمام :

أحقًا تشعرين بالسعادة وأنت مع (أحمد) يا (ندى) ؟

لم تدرك (ندى) ما تعنيه (سلمى) ، ظنت أنها تسألها عن جولتها المسائية مع (أحمد) بمفردهما ، عندما اعتذرت (سلمى) عن مرافقتهما ، بسبب صداع ألم بها إثر تعرضها الكثير للشمس فى الصباح ، وتجيبها :

ـ نعم . . لقد كان يومًا جميلاً . . جلسنا على أحد المقاهى وشربنا . . .

وتروى لـ (سلمى) كل دقيقة مرت بهما فى تلك الساعات التى لم تعشها معهما ، وتستمع (سلمى) لها

محاولة أن تلمح شيئًا ما تبحث عنه . . ولكنها لا تجده ويعود السؤال من جديد . . إلى متى يا (أحمد) ؟ إلى متى ؟

وهى تقترح على (أحمد) أن تشترك (ندى) معهما فى الرحلة ، ظنت أنها ستكون فرصة مناسبة ليقترب أكثر منها . . ليصارحها بما فى قلبه ، أن يذيب ذلك الخجل الذى يحيط به نفسه ، ومنذ بداية الرحلة وهى ترصد كل ما يجرى بينهما . . ولكن (أحمد) ظل هو (أحمد) . . لا شىء يذيب خجله ، وتتنهد فى أسف فتسألها (ندى) :

ـ (سلمى) . . ماذا بكِ ؟؟ ألا زلت تشعرين بهذا الصداع ؟

ـ نعم . . نعم . .

☆ ☆ ☆

٧ ـ دعـوة من القـلب ..

رفعت بصرها إليـه تتأمله خِلسةً وهو يكتب رءوس المواضيع التى سيشرحـها لها هذه المرة ، وسألت نفسها : هل حقًا تحببينه يا (ندى) ؟ أحقًا لا تتخيلين حياتك بدونه ؟ ولكن كيف ؟ وأنت دائمًا تخافين الحب ؟ وتعود إليها حيرتها .. التى قد تناستها وهى تقضى الإجازة كلها إلى جوار (سلمى) ..

ولكن ها هو من جديد يعود .. باعثًا فى نفسك الحيرة ، وفى قلبك الحب ، وفى عينيك اللهفة لتكتشفى أنه ما عاد شىء يستهويك إلا صوته ؟! ما عاد شىء أهم فى حياتك من تلك الساعات التى تلقينه فيها ؟ ولكن .. هل يشعر هو بذلك ؟! أحقًا .. تلك اللهفة التى أطلت من عينيه حين التقى بك منذ دقائق ؟ وهذا التردد الذى لمحته فى لهجته عند بدء حديثكما و .. تتنهد فى حيرة .. فيرتفع بصره إليها .. تحاول أن تهرب من نظرته الباسمة ، وهو يراها تتأمله فى حيرة وربما فى حب .. وتمر لحظة .. يقرأ فيها كل منهما ما فى قلب الآخر نحوه ..

تقرأ فى عينيه .. حب وحنان .. وفرح ..

ويقرأ فى عينيها .. حيرة وخوف وارتباك ..

ويترك القلم يفلت من يده ، وهو يقول لها وهو يحيط يدها بكفه فى حنان ويسألها :

ـ لماذ تخافين يا (ندى) ؟ لماذا تصنعين من حيرتك وخوفك حاجزًا بينك وبين الحياة ؟

ومع ذلك الدفء الذى تشعر به .. والحنان الذى يتدفق من عينيه .. لا تدرى عن أى شىء يتحدث .. ولا ينتظر إجابتها ويتحدث :

ـ كنت أسأل نفسى فى كل مرة أراك فيها ، وأرى تلك الحيرة التى تطل من عينيك نحوى ؟ أحقًا هى لا تشعر كم أحبها ؟ ألا ترى حبى ؟ كيف ؟

ها هو يصرح لها بحبه .. ها هو بتصريحه هذا يحسم حيرتها التى تشغلها ، ها هو ينطق بالكلمة أو الحقيقة التى انتظرتها ، وباتت تحلم بها ولكنها لا تفرح بهذا كله .. ولا تنطق بشىء .. وهى تستمع إليه وهو يتابع حديثه :

- كنت أنتظر أن تقاومى حيرتك هذه ، وتقتلى ذلك الخوف داخلك ليطل فى عينيك حب واضح قوى .. بلا خوف .. بلا حيرة ..

ويبتسم ابتسامته الحلوة الصغيرة ، وهو يقول :

- ثم اكتشفت أن هذه الحيرة وهذا الخوف جعلانى أكثر تمسكًا بحبى لك ، فهما دليل حبك لى ، وخوفك على هذا الحب من أن يضيع .

ويرتعش كل كيانها .. كيف أدرك كل هذا ؟! كيف استطاع أن ينفذ إلى أعماقها بهذه البساطة ؟! كيف يقرأ سطورًا سطرتها فى قلبها وفكرها ، ولم تطلع عليها أحدًا ؟!

ولأول مرة تشعر كم هو جميل أن يشعر بك إنسان بكل هذا العمق ، ويراك بهذا القدر من الشفافية ، ويفهمك دون أن تتحدثى إليه ويقدر خوفك وقلقك ويسعد بهما .. ولأول مرة تعرف كم هو رائع الحب ..

ووجدت نفسها قد أغمضت عينيها لحظة لتسقط منهما دمعتان ساخنتان لم تشعر بهما إلا وهما يلامسان وجنتيها ويسقطان أمامها ، وأمام(هشام) الذى رفع

رأسها إليه بيده ممسكًا بذقنها الدقيقة بين أطراف أصابعه ويبتسم لها فى حنان ، وهو يتطلع إلى عينيها الباكيتين ويقول :

- كنت أخشى تلك اللحظة التى أواجهك فيها بنفسك وبخوفك ، كنت أعرف أن إنسانة رقيقة مثلك ستبكى وهى تواجه خوفها .

وأخيرًا تجد لديها القدرة على أن تنطق بشىء ما .. أى شىء ..

أخيرًا تجد لسانها قادرًا على التحرك ، ولكن ماذا تقول ؟!

لقد قال كل ما كانت تشعر به .. كل ما تخفيه داخلها ..

وتهمس باسمة :

- (هشام) إننى ...

ولا تجد كلمات تعبر بها عن كل ما تشعر به من سعادة وفرح .. عن إحساسها بالأمان وهى إلى جواره و .. يتحدث هو :

- أعرف ما تريدين البوح به .. ولكن ما رأيك أن نؤجل كل أحاديثنا إلى ما بعد الامتحانات .

« إنه إنسان رائع يا (سلمى) .. رقيق كالحلم ..
وهو يصارحنى بحبه لى كان كمن يقرأ صفحات حفظتها بقلبى أو كلمات عاشت فى وجدانى منذ زمن بعيد ، كان كلانا يعيش لحظات انتظرها طويلاً ، ولكن يقيننا أنها ستأتى جعلنا نستقبلها فى هدوء ونعومة .. » ..

بهذه الكلمات تروى (ندى) لـ (سلمى) كيف صارحها (هشام) بحبه ، كانت سعيدة فرحة تبتسم الحياة لابتسامتها .. وتبتسم (سلمى) لها أيضًا ..

كانت هى أيضًا قد رأت هذا الحب .. أو شىء منه .. كانت ترى ذلك اليوم قبل أن يأتى .. تراه ، وهى تعلم أن فيه ستكون سعادة (ندى) ، ونهاية لسعادة أخيها ..

وهى ترى (هشام) لأول مرة شعرت أن هناك شيئًا ينمو بينهما .. فهى تفتقد الحب والحنان والاهتمام ، وهو يمنحها كل ذلك بعفوية ودون قصد .. ربما هى طبيعته وخاصة بعد وفاة أبيه ، هى تهوى الأدب وهو يعشقه ، وهى تراه يجلس إلى جوارها ؛ ليشرح لها ما يصعب عليها فهمه شعرت بتناغم شديد بينهما ، حتى صمتها كان ينطق بالكثير و ..

« (سلمى) فيم تفكرين ؟ ! » .

تبتسم (سلمى) لها فى حب وفرح :

ـ أفكر فى تلك اللحظات الحلوة التى تعيشينها .. والتى كنت أدعو اللّه أن يأتى يومًا لتروى لى عنها .. كما كنت أروى لك أنا ومازلت ..

وفى قلبها .. ترددت دعوة ثانية .. دعوة لأخيها بأن يجد من تحل محل (ندى) فى قلبه ..

☆ ☆ ☆

٨ ـ نظـــرة جـــادة ..

« لماذا كل هذا المبلغ يا أبى ؟ » .

قالتها فى دهشة وهى تتناول من والدها مبلغًا ماليًا كبيرًا ، ويجيبها هو :

ـ لقد كبرت يا (ندى) كنت دائمًا أحتار فى شراء هدية مناسبة لك ، وكنت أعتقد أن الحفل الكبير الذى أقيمه لك هو شىء يسعدك ، أما اليوم فأنت تستطيعين شراء ما تحتاجين إليه ، وتقررين هل تقيمين حفلاً أم لا ، فهو عيد ميلادك أنت .

تقول له فى سعادة :

ـ شكرًا يا أبى . .

فيسألها ، والآن ماذا قررت ؟

تصمت لحظات ثم تقول :

ـ لقد مللت الحفلات يا أبى ، ما رأيك أن نقضى اليوم كله فى فيلتنا بالفيوم ، وخاصة أن عيد ميلادى يوافق هذا العام يوم جمعة ، وسوف أدعو (سلمى) و(أحمد) ووالدهما . .

ـ فكرة رائعة يا (سلمى) وخاصة أننى لم أر والدها منذ فترة طويلة . .

وينظر إلى ساعة يده ، ويقول :

ـ لقد تأخرت يا (ندى) ، فى كل مرة أتحدث إليك صباحًا أتأخر . .

ثم يبتسم لها ، ويقول :

ولكنه دومًا يكون صباحًا جميلاً ، فأنا أتفاءل بهذا الوجه الجميل . . وينهض استعدادًا للانصراف ويتجه لباب الفيلا ثم يلتفت إليها قائلاً :

ـ آه . . بالمناسبة لماذا لا تدعين (هشام) أيضًا ، أليس من حقه أن يقضى يومًا معنا بلا استذكار لك . .

وكم أسعدها اقتراح والدها ، وفى حماس دعت (سلمى) و(أحمد) وتحدثت مع والدهما وانتظرت حتى جاء (هشام) لتخبره . .

وكان يومًا جميلاً ، جلس والدها مع الأستاذ (عبد الحميد) والد (سلمى) و(أحمد) ، وأشرفت عمتها على إعداد شتى أنواع الطعام والفاكهة ، وانطلقوا هم فى أرجاء المدينة وجمعتهم أحاديث كثيرة ثم عادوا

للفيلا فى موعد الغداء . . وبعد تناول الطعام لاحظت (ندى) غياب (هشام) . . كيف انسحب من وسطهم دون أن تشعر به ، وأستأذنتهم وراحت تبحث عنه حتى وجدته هناك على بعد أمتار من بوابة الفيلا . . يجلس على حافة سور قصير قديم . . ناظرًا إلى المساحات الخضراء أمامه ، وترتسم فى عينيه نظرة جادة ترى فيم يفكر ؟!

ما الذى يشغل باله ويجعله يبدو جادًا لهذه الدرجة ؟!

إنه حتمًا يفكر فى أمر البعثة التى تقدم بأوراقه للالتحاق بها . . هو يرى أنه أحق زملائه بها لكنه يخشى أن تتدخل الوساطة كى تذهب لأحد غيره ؟

وفى هدوء تقترب منه وتهمس له :

ـ ترى ما الذى يشغل بالك فى يوم عيد ميلادى وأنت معى ؟

وتجلس إلى جواره صامتة منتظرة حديثه ، فيسألها :

ـ أحقًا أنت صاحبة فكرة قضاء اليوم هنا . .

ـ نعم . . فمنذ أن اشترينا هذه الفيلا لم نزرها سوى مرة واحدة ، تخيل أن يكون كل هذا الجمال ملكًا لك ولا تستمتع به . .

ـ وماذا أحضر لك والدك كهدية فى عيد ميلادك ؟

ضحكت وهى تتذكر حديث والدها عن الهدية ، وقالت :

ـ لقد اختار ألا يحضر لى هدية . . منحنى مبلغًا ماليًا أشترى به ما أريد ، وأعطانى خمسة آلاف جنيه هى مصاريف الحفل الذى سيقيمه لى . .

ومرة أخرى يعود للنظر إلى المساحات الخضراء أمامها ، وتلك النظرة الجادة ترتسم على ملامحه ، ويسألها :

ـ (ندى) هل تعتقدين أن والدك سيرانى زوجًا مناسبًا لك ، وهو يعرف كل شىء عن ظروفى وإمكانياتى المادية ، وهو بالطبع يتمنى لك حياة مريحة كتلك التى يوفرها لك ؟

والآن تدرك سر تلك النظرة الجادة ؟؟

والآن تدرك لماذا سألها وهم يدخلون الفيلا ، كم فدانًا تمتلكون هنا ؟!

والآن عرفت لماذا تردد فى قبول تلك الدعوة ، ولماذا انسحب وتركهم ؟

ويكمل حديثه بنفس اللهجة الجادة ؟؟

ـ هل تعلمين أن والدك عرض علىَّ مبلغًا ماليًا مقابل مساعدتى لك . . ولكننى رفضت . .

كانت تسمع لهذه الحقيقة لأول مرة . . والآن تدرك وتتأكد لماذا طلب منه والدها أن يساعدها فى استذكار محاضراتها . . لقد كان يريد مساعدته ، وكم أقلقتها تلك الحقيقة وخاصة الآن مع حديث (هشام) الجاد ، ولكنها تقول فى جدية مماثلة :

ـ (هشام) لماذا تتحدث هكذا ؟ إن أبى يحترمك ويقدرك ويعدك بمثابة ابنًا له ، وسيسعد كثيرًا بك حين تتقدم لطلب يد ابنته ، أما مسألة المبلغ المالى الذى عرضه عليك فهو فقط ليشعرك بأن ما تفعله معى هو عمل تؤديه وليس مجاملة ، (هشام) ألا ترى نظرات الحب والاعتزاز التى يحيطك بها دومًا ؟

وتقف أمامه ، وتقول :

ـ هل نسيت يا دكتور أنك خلال أعوام ثلاثة أو أربعة ستحصل على أعلى شهادة جامعية ، وربما تكون يومًا ما عميدًا لكلية الآداب ؟ من هذا الذى يرفض أن يزوج ابنته لنابغة مثلك ؟

وتمسك بيده وتشده لينهض ، وتقول :

ـ هيا كى نعود إليهم . .

وتراه وقد اختفت تلك النظرة الجادة فى عينيه ، وتحل محلها نظرة حب أخجلتها . .

ـ كم أحبك يا (ندى) . . لقد غيرت حياتى كلها . .

ومرة أخرى يرتعش كيانها كله للمسة منه . . وتسحب يدها فى سرعة وتقول :

ـ سأعتبر ما فعلته هو هدية عيد ميلادى . .

وتسير إلى جواره صامتة ولكنها سعيدة . . تشعر أنها تسير فى الجنة . . فقط لأنها معه ، ولكنها لازالت تتساءل هل ما زال يفكر فيما حدثها به أم أن كلماتها قد طمأنته ؟ وهى تعود للفيلا إلى جواره لاحظت شيئًا فى عينى (أحمد) ، ولكنها سرعان ما تناسته وهى تعيش أحلى أوقاتها إلى جوار (هشام) . .

وتمضى الأيام حتى يأتى ذلك اليوم ، يطير إليها فرحًا يخبرها أنه قد تحدد موعد سفره إلى فرنسا ؛ ليبدأ دراسته لنيل درجة الدكتوارة ، تفرح معه وترسم على شفتيها ابتسامة كبيرة تخفى بها قلقها ، وما إن يغادر

الفيلا حتى تسرع لحجرتها لترتسم على ملامحها مشاعرها القلقة الحائرة ، إنه بسفره يخطو خطوة مهمة فى طريق مستقبله ، خطوة كان يحلم بها ، ويجب أن تفرح له ، ولكنه سيسافر ويتركها ، فكيف ستحيا بدونه ؟ هل ستحتمل بعده عنها ؟ وتعود إليها تلك الأحلام التى كانت ترى فيها نفسها بطلة ، يسافر حبيبها ولا يعود ثانية ، ويسكن قلبها الخوف من أن تحيا تلك اللحظات فى بعده عنها . .

« ألهذه الدرجة تحبينه يا (ندى) ؟ » .

كان هذا سؤال (سلمى) لها ، وهى تروى لها عن مخاوفها تلك ، وحينها أدركت (سلمى) كم أصبح (هشام) أهم شىء فى حياة (ندى) ، وتجيبها (ندى) :

- نعم يا (سلمى) . . أنا نفسى لم أكن واثقة من شىء كهذا إلا عندما أخبرنى بأمر سفره ، حينها عرفت كم أحبه ، ولكنه قدرى أن يرحل عنى . .

وتصمت (سلمى) لا تتحدث إليها . . إنها تحدث نفسها « لا يا (ندى) ! إنه ليس قدرك بل قدر (أحمد) ، قدره أن يتعذب وهو يرى حبك لـ (هشام) فى كل ثانية جمعتكما معًا أمامه ، قدره أنه فى كل يوم كان يتردد

فى أن يحدثك عن مشاعره حتى يرى كل هذا الحب يطل من عينيك لـ (هشام) وحده ؛ فيهمس لنفسه « إنه قدرى ! » . . نفس الجملة التى تنطقين أنت بها الآن . . ينطق بها هو أيضًا . . » .

« (سلمى) فيم تفكرين ؟ » .

تنظر (سلمى) إليها وترى تلك الحيرة المرتسمة على وجهها ، وتحدثها :

- ولماذا تستسلمين لقدرك ذلك يمكن السفر مع (هشام) ؛ لتكملى دراستك هناك أو حتى تبدئيها من جديد ، فالتضحية بعامين من عمرك من أجله هى تضحية لا تذكر . .

وتبتسم (ندى) لفكرتها هذه وتفكر فيها ، بل وتحدث (هشام) بها ويقتنع بها ، وتمر الأيام ويقترب موعد الامتحانات . .

وهى تسأل الساعى عن مكتبه ، كانت تشعر بالسعادة ، بل بالفخر . . وأسعدها كثيرًا أن نطقت ملامح الساعى بالاحترام والتقدير ، وفى حماس وصف لها مكان مكتبه ، وهى تسير فى الطريق إلى مكتبه تشعر

بالسعادة من أجله .. غدًا يعود (هشام) من الخارج حاملاً شهادة الدكتوراه ويصير أستاذًا ، وتكون هى إلى جواره دائمًا ، وتبتسم وهى ترى كل ذلك بعين الخيال الذى سيصير عما قريب واقعًا ، فها هى قد انتهت من امتحاناتها اليوم ، ومساءً يأتى هو ليطلب يدها من والدها ، وتسافر معه تقف إلى جواره .. وتساعد فى تحقيق حلمه ..

وتجد نفسها اقتربت من نهاية الممر ولكنها لم تعد الحجرات منذ بدايتها ، لقد قال لها خامس حجرة إلى اليمين ولا تجد أحدًا تسأله .. فتقترب من تلك الحجرة إلى يمينها لتسأل عن مكتبه .. ومع اقترابها تسمع صوته يقول فى انفعال :

ـ (سهير) أرجوكِ لا داعى لتلك الدموع .. لقد انتهى كل شىء ..

وتسمع صوتًا باكيًا يقول :

ـ انتهى .. كيف ينتهى ما بيننا يا (هشام) هل نسيت حبنا .. هل نسيت وعدك لى بأنك لن تتزوج غيرى مهما حدث .. هل تنكر فرحتك حين التقينا منذ شهور و . . .

ويقاطعها فى حدة :

ـ نعم .. أنا لا أنكر كل ذلك .. لا أنكر تلك القصة الحلوة التى عشناها .. ولا أنكر وعدى لك ، ولكن . . .

ولا تحتمل (ندى) أن تسمع أكثر من ذلك .. تجرى فى سرعة وتغادر المكان كله باكية ..

وتشعر بالمرارة وهى تتذكر ذلك اليوم الأليم الذى كاد يقتلها لولا وجود (سلمى) إلى جوارها .. وبعد أن سكبت كل دموعها ..

وبعد أن هدأ بكاءها ..

تحدثت .. روت لـ (سلمى) ما سمعته ، وذهلت (سلمى) لما تسمعه ، وتقول فى دهشة :

ـ أواثقة أنت أنه هو (هشام) ؟

ـ نعم .. نعم .. لقد رأيته وهو يحدثها فى انفعال ولم ينتبه إلى وقوفى عند الباب ، سمعت صوته وهو يعترف بحبه لها وخيانته ..

ـ لا تتسرعى يا (ندى) فى إصدار حكمك عليه ، هناك حتمًا شىء غير مفهوم فى كل ذلك ، وهو يملك تفسير ذلك ..

- تفسير !!

تقولها فى مرارة ، ثم تنفعل فى غضب :

- تفسير لماذا لخيانته ؟؟ لخديعته ؟! لا . . لا يا (سلمى) . . أنا لن أسأله أبدًا لن أسأله ، وتوشك على البكاء مرة ثانية . .

☆ ☆ ☆

٩ - قد يريحك البكاء ..

« (ندى) أرجوكِ كونى هادئة وأنت تقابلينه ، لا تشعريه بأى شىء حتى ينتهى لقاءه مع والدك ، ثم بعد ذلك فى أول لقاء لكما اسأليه وهو حتمًا سيروى لك . . » .

حدثتها (سلمى) بهذه العبارات وهى تهبط إلى جوارها درجات السلم لتقابله ، ولكنها لا تنطق بشىء . . لتسير إلى الصالون شاحبة صامتة ، وما إن يراها حتى يسألها فى قلق :

- ماذا بك يا (ندى) ؟

تجلس أمامه دون أن تجيبه بل تسأله هى :

- لماذ جئت اليوم ؟

يجيبها فى دهشة ، وهو يحاول أن يفهم ماذا بها :

- أنت تعلمين . . لقد اتصلت بوالدك منذ يومين ؛ لأحدد هذا الموعد لأطلب يدك ، ثم نتزوج قبل سفرنا . .

- ثم ؟!

قالتها فى لهجة غريبة زادت من قلقه وحيرته ، وتكمل هى جملتها :

ـ ثم تتركنى . . تترك اللعبة التى كنت تلعب بها كما اعتدت . . لا . . أنا لن أسمح لك بهذا . .

نطقت عبارتها الأخيرة بصوت ملىء بالمرارة والألم مما جعله ينهض ليقترب منها ، وهو يسألها :

ـ (ندى) ما هذا الذى تتحدثين به ؟!

ـ إنه الواقع . .

أى واقع يا (ندى) . . لقد جئت لأطلب يدك فكيف أتخلى عنك بعد ذلك ؟

ـ وطلبك مرفوض يا دكتور . .

وتنهض وتنظر إليه فى تحدٍ ، ثم تقول :

ـ وأرجو ألا يعلم أبى بسبب مجيئك اليوم ، وإلا لاضطررت أن أعلن رفضى أمامه و . . .

وقبل أن تنطق بشىء . .

يغادر الحجرة ويسرع الخطا فى طريق باب الفيلا . . وتستوقفه (سلمى) تنادى باسمه ، ولكنه لا يتوقف . .

وفى ثورة وغضب يفتح باب الفيلا و ينصرف ، وتجرى (ندى) . . تصعد درجات السلم إلى حجرتها وتبقى (سلمى) مكانها حائرة ماذا تفعل ؟!

ماذا ستقول لوالد (ندى) حين يأتى ويعرف بمجىء (هشام) ، ثم انصرافه دون أن ينتظره ؟

وماذا ستفعل أمام دموع (ندى) ؟!

وتصعد إلى حجرتها لتجدها تبكى فتحيطها بذراعها ، وتقول لها :

ـ ابكى . . ابكى يا (ندى) . . قد يريحك البكاء الآن . .

وتمر الأيام . . وهى تحاول أن تنسى خديعته ولكنها لا تستطيع . . وتفكر فى أن تذهب إليه تسأله تفسير لما سمعته ، ولكن كرامتها تأبى هذا ، وكل ما سمعته كان واضحاً وأكده هو نفسه . . وتعرف بأمر سفره من والدها . . فلقد اتصل به قبل سفره وذهب إليه بمكتبه فى الشركة ليودعه . . وعندما تعلم بهذا الخبر . . تشعر أن جزءاً من قلبها سافر معه . . وفى كل ليلة تنظر إلى السماء ، وتسأله . .

لماذا فعلت ذلك يا (هشام) ؟!

هل كنت أستحق منك كل هذا ؟؟

لماذا تجرحنى يا (هشام) ؟

وقبل أن يلتئم جرحها وتودع أحزانها سرعان ما تجرحها الأيام ثانية وتعذبها بمرض (سلمى) ثم رحيلها ، قدرها أن يرحل عنها كل من تحب . .

وتتنهد فى عمق ، وقد استعاد ذهنها كل تلك الذكريات المؤلمة ، ها قد مرت سنوات ثلاث وتجمعها به الصدفة ، سنوات ثلاث وهى لا تزال حائرة ما بين اشتياقها له وثورة كرامتها على ما رأت وسمعت . . كيف ؟ كيف يخونها وهو على وشك الارتباط بها ؟

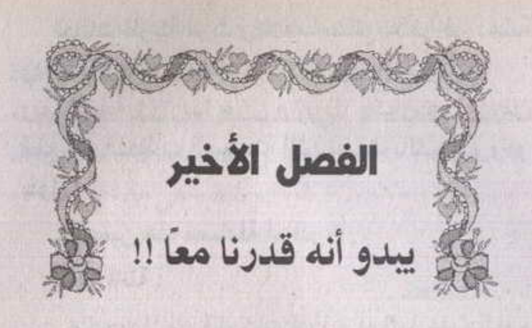
وتنظر إلى ساعة يدها ، إنها تقترب من السادسة ، تفكر فى أن تتحدث إليه فتتعمد أن يسقط الكتاب الذى تمسك به ، فينحنى ليلتقطه من الأرض ويناوله لها فتبتسم له ، وهى تقول :

ـ شكرًا يا دكتور (هشام) . .

وقبل أن تنطق ملامحه بالدهشة تخلع عن عينيها المنظار الداكن ، وتقول :

ـ هل نسيت (ندى) يا دكتور . .

☆ ☆ ☆



الفصل الأخير

يبدو أنه قدرنا معاً !!

« تتزوج ؟! » ..

كانت الدهشة التى نطقت بها العبارة هى كل ما يحتاج أن يراه لكى تواجه نفسها بحقيقة لا تراها .. ولا تشعر بها وإن كانت تقترب منها دون أن تعرف ..

« تشعر أن قلبها معه .. مع (هشام) ورغم ذلك تشعر بمدى غضب (أحمد) وحزنه .. تحزن لمفارقة (هشام) وتتألم لما فعلته بـ (أحمد) وتحتار ما الذى يجب أن تفعله ؟ » ..

لحظات طويلة مرت وكلاهما يتطلع للآخر فى دهشة وداخله مزيج من مشاعر شتى وربما الشوق أيضًا .. ربما لهفة .. ربما حزن وألم .. وكان هو أول من قطع تلك اللحظات الصامتة التى نطقت بالكثير ، وهو يقول :

- أتسمين هذه مصادفة أم قدر ؟

تتنهد قائلة :

- ما جمعنا من قبل كان قدرًا ، أما ما حدث اليوم فهو مصادفة ..

ردد (هشام) وراءها :

- ما جمعنا !! أهكذا تشيرين إلى ما كان بيننا يومًا ما ، وكأنك تتبرئين منه .. وكأنك تنكرين أنه حبًا ؟

تسأله فى مرارة :

- هل أنت تسمى ما كان بيننا حبًا ؟

- ماذا تسمينه أنت ؟

لم تجب .. إن لم يكن ما بينهما هو الحب ، فلماذا رأت ما فعله خيانة وخديعة ، ويحترم هو صمتها للحظات ثم يسألها :

- لماذا فعلت ذلك يا (ندى) ؟ لماذا قتلت حبنا ؟

ترى هل هى قادرة أن تروى له ؟ أن تعيش آلامها أمامه ؟ فكرت فى أن تذهب إليه قبل سفره وتروى له ما سمعته ورأته ، ولكن كرامتها منعتها ، والآن وقد جمعتها به المصادفة ولم تذهب هى إليه يمكنها أن تروى له ..

« (سهير) !! » .

قالها بعد أن استمع لما روته (ندى) ، قالها وكأنه مع كل حرف من حروف اسمها يستعيد جزءًا من ذكرياته ، وتكمل (ندى) حديثها :

- أنا لا يهمنى معرفة اسمها .. كل ما يهمنى هو حديثكما حينها ، هل تنكر أنك نفسك اعترفت بما كان بينكما من عاطفة وبأنك وعدتها بالزواج وبألا تتزوج من غيرها مهما حدث ، فى نفس الوقت الذى كنا نتحدث فيه عن البعثة والسفر والمستقبل الذى سنبنيه معًا ..

يلتفت إليها مبتسمًا فى حب .. فى سعادة ، ثورتها تلك تعلن أنها لازالت منفعلة بما حدث ، ولازالت تحبه وتتألم لجرحه لها ويتحدث إليها فى هدوء :

ـ نعم كان هذا وعدى لها ولكن أتدرين متى ؟ قبل أن أراك بسبع أو ثمانى سنوات و . .

وتقاطعه وهى تتذكر عبارتها حينها :

كانت تذكرك بفرحتك حين التقيت بها منذ شهور . .

أومأ برأسه إيجابًا قائلاً :

ـ نعم . . لا أنكر ذلك . .

ويتنهد فى عمق وربما شىء من الندم :

ـ ولا أنكر أنه كان ماضى الخطأ أننى لم أروِ لكِ ماضى حياتى قبلك ، ولكننى كنت دومًا حريصًا على وقتك وتفوقك ومستقبلك ولهذا لم أروِ لك عن ذكرياتى . . عن أول فتاة دخلت حياتى . .

ويعود إلى ذكرياته وهو يروى لها . . .

☆ ☆ ☆

« (سهير) . . (سهير) كانت أول زميلة أجلس إلى جوارها . . أول زميلة أدعوها لمشروب فى كافيتريا الكلية ، وأول من جلست إليها أروى لها عن أسرتى وحياتى . . كانت أول فتاة فى حياتى . .

ولكنها لم تكن أول حب ؛ لأن ما جمعنى بها لم يكن حبًا . . وإن لم يخلُ من عاطفة حلوة بريئة . . ولأننى كنت أبحث عن الحب ظننت أن (سهير) هى « الحب » . .

يمر عامنا الأول والثانى وأنا لا أنسى وصية أبى بأن أظل دائمًا متفوقًا متميزًا ولا أتخلى عن أكون الأول . . وفى عامنا الثالث يأتى الاختبار الحقيقى لهذا الحب الذى رسب فيه بدرجة ضعيف جدًا جدًا . . »

« كنا نحضر حفل استقبال الطلبة الجدد بكليتنا . . عندما رآها ذلك الشاب الذى لو وصف بالثراء لكان هذا « إجحافًا » لثروته أو ثروة والده بمعنى أدق . . وطوال الحفل وهو يلاحقها بنظراته . . فى البداية تضايقت لذلك . . فانصرفنا ثم يسأل عنها هذا الشاب ، ويعرف بأمر ارتباطنا الذى ننتظر تخرجنا لنعلنه رسميًا ، وربما لأنه لم يعتد ألا يحصل على ما يريد ، وربما لأنه انبهر بجمالها ، وربما لأنها كانت تصدّه فى البداية . . وتفضل عليه شابًا لا يتميز عنه بأى شىء إلا تفوقه وتميزه والذى لا يعنى فى نظره شيئًا . . يأتى ذلك الاختبار الذى أوضع فيه لأرسب بجدارة ؛ فأنا لا أملك مثله سيارة وفيلا ومصيف فى أوروبا و . . و . . » .

« وأدرك لماذا أوصانى أبى بأن أحافظ على تفوقى فى الجامعة لأصير أستاذًا جامعيًا ، كان يدرك أننا لا نملك من الإمكانيات المادية ما يجعلنا أثرياء ؛ لذا أراد لنا أن نكون أثرياء بعلمنا وتميزنا ؛ ولذا أحافظ على تفوقى حتى يمر عامان لأصير معيدًا فى نفس المكان الذى كنت فيه طالبًا منذ شهور .. وأحافظ على هذا التميز حتى بعد تخرجى ولا أتراخى فى الدراسات العليا .. وأكون أول من يحصل على درجة الماچستير وسط زملاء دفعتى .. » .

ويصمت لحظاتً يلتفت لـ (ندى) مبتسمًا ابتسامته الحلوة ، ويكمل حديثه :

« وألتقى بك يا (ندى) .. لأرى ملاكًا صغيرًا ساحرًا .. لأعرف معنى أن يشدك إلى إنسان روحه وليس مظهره أو حديثه ، وأسعد حين يطلب منى والدك أن آتى لمساعدتك فى استذكار محاضراتك .. وتعود (سهير) إلى حياتى .. كنت قد سمعت من قبل عن أنها عُينت فى إحدى الجامعات الإقليمية بعد أن سعى أحد معارف زوجها لذلك ، ثم .. ولا أدرى أى تفاصيل عن هذا الأمر .. أسمع أنها قد حصلت على

الطلاق ونقلت إلى جامعتنا .. لا أنكر فرحتى حين التقيت بها فى نفس المكان الذى شاهد أيام معرفتنا الأولى .. لا أنكر فرحتى وهى تذكرنى بما جمعنا من قبل .. لا أنكر فرحتى بشىء كنت أمتلكه .. ضاع منى ثم عاد إلىَّ .. ولكن سرعان ما تلاشت فرحتى هذه .. لأنها كانت مشاعر سطحية ووقتية كحبى لها .. ولكنها لا ترضى بذلك بل تلاحقنى دومًا حتى تذكرنى فى كل لحظة بحبنا .. وأنها كانت حمقاء عندما تركت هذا الحب لتجرى وراء المال .. وأعيش صراعًا بين ذكرياتى وبين حلم أحلم به منذ رأيتك ..

« منذ أول لحظة شاهدتك فيها .. أحلم أن أملك قلب ذلك الملاك الصغير .. وكان يجب أن أحسم كل شىء وبحزم .. وواجهتها بأننى لم أعد أذكر ما بيننا وأنه كان شيئًا وانتهى .. ثم مات ولن يعود ثانية .. وتعدنى بألا تعود ثانية لما كانت تفعله .. وتصدق فى وعدها وتلتزم به .. ربما أملاً فى أن أعود أنا إليها أو أملاً فى أن تهدأ ثورتى لما فعلته فى الماضى .. » .

« حتى تعلم بنبأ البعثة وأننى سأسافر إلى فرنسا حتى تأتى لمكتبى .. تعرض علىَّ أن نتزوج لنسافر معًا وتذكرنى بما كان بيننا و .. أنت سمعت حديثها ... » .

تستمع إليه (ندى) غير مصدقة أنها أضاعت حبه بسبب سوء فهم منها ، بسبب تسرعها وعدم ثقتها به . . ولكن لم يكن أمامها سوى ذلك وهى ترى حقيقة واحدة أنه يخونها ، وها هى الآن تشعر بالندم وتجد نفسها تقول فى صوت خفيض وكأنها تحدث نفسها :

ـ كنت أخاف . . أخاف من أن أفقدك . . وحينما سمعت ذلك الحديث كنت كمن يؤمن بنبوءة محددة وحين يراها ولو بصورة مشوشة يصدقها . .

وتلتفت إليه قائلة :

ـ إننى آسفة . .

ويبتسم لها ابتسامته الحلوة التى أعادت إليه ذكرى أيام حلوة مثلها عاشتها إلى جواره ، أو وهى تحلم أن تكون بجواره دومًا . .

ـ ربما هو كما قلت قدر . . قدرك وقدرى أن نفترق ربما كى لا تخوضى معى ما خضته فى الغربة . . ربما حدث ذلك كى أسافر وحدى وأمر بتلك الظروف الصعبة هناك . . وربما لهذا كنت أحيانًا أرضى بما حدث . . وأنتِ يا (ندى) كيف كانت أيامك السابقة ؟!

ـ أيام . . لقد كانت أسوأ أيام فى حياتى كلها . .

وروت له . . .

☆ ☆ ☆

هذه المرة لم تبكِ وهى تتذكر (سلمى) . . لقد بكت كثيرًا من قبل . . هذه المرة كانت تحكى له عن شىء صار حقيقة فى حياتها . . وهو العذاب والألم والوحدة ، ويسألها فى نهاية حديثها :

ـ و(أحمد) . . أين هو الآن ؟

ـ لقد سافر . .

قالتها فى شىء من الحزن . . من الآسف . . ولكنها تتذكر ذلك الحلم الذى رأته قريبًا ، فتقول فى سرعة :

ـ ولكنه حتمًا سيعود . . أنا أشعر بهذا . .

نظر إليها فى دهشة وهى تنطق بتلك العبارة التى تنطق بأن مجىء (أحمد) أو عودته يمثل لها شيئًا كبيرًا تنتظره فى لهفة . . وأمام نظرته المندهشة هذه تقول فى صوت هادئ خفيض وكأنها تخشى أن يسمعها :

ـ سيعود . . سيعود هو وعدنى بذلك ، وأنا وعدته بأننى سأنتظره . .

[م ١٠ ـ زهور عدد (٩٨) الحائرة]

ـ لماذا إذن سافر ؟

أربكها سؤاله ، لا تعرف بماذا تجيب ، إنها لا تدرى لماذا سافر (أحمد) ؟

هل لينسى ذكرياته مع (سلمى) ؟ وهل يستطيع أن ينسى (سلمى) مهما سافر وابتعد ؟

أم سافر ليبتعد عنها هى ولينسى حبها .. ويسألها (هشام) :

ـ وبعد أن يعود متى ستتزوجان ؟

ـ نتزوج ؟!

كانت تلك الدهشة التى نطقت بها العبارة هى كل ما يحتاجه (هشام) ، أن يواجهها بنفسها ، يواجهها بحقيقة هى لا تراها وإن كانت تقترب منها دون أن تعرف ..

وراحت تسأل نفسها هل هى تحلم بالزواج من (أحمد) ؟؟ الزواج ؟! إنها لم تحلم يومًا أن تكون زوجة إلا لـ (هشام) ، كانت تحلم بأن تسير إلى جواره زوجة له ، كان هذا هو الحلم الوحيد فى حياتها ؛ لذا كان حلم حياتها كله ، فبعده وقبله لم تعرف معنى الحلم ..

معنى المستقبل ، ولكن الحياة اختطفت منها هذا الحلم وأضاعته وأوجبت عليها أن تحلم بحلم جديد .. حلم آخر وهو أن يعود (أحمد) وماذا بعد أن يعود ؟ فهل ستتزوجه ؟!

بأى كلمة وداع تودعه ؟ لا تعرف .. أى كلمة وداع تقولها له « إلى اللقاء » ، وأى لقاء سيجمعهما ثانية ؟ لقد حدثت المصادفة التى جمعتها به لتعرف كم كانت مخطئة حين اعتقدت أنه خان حبها ، هذا ما فعلته تلك المصادفة فترى لو جمعتهما مصادفة أخرى .. فماذا سيحدث ؟

☆ ☆ ☆

وهى تودعه .. وهى تراه يبتعد وسيارة الأجرة تحملها بعيدًا عنه .. شعرت أن جزءًا من قلبها قد تركته معه .. تستعيد صورته فى ذهنها طوال الطريق إلى منزل خالتها ، وذلك الحوارالذى دار بينهما .. والذى روى لها فيه عن سنوات غربته وحصوله على درجة الدكتوراه .. وحين سألته فى شىء من الخجل :

ـ ألم تمر بقصة حب هناك ؟

ـ لقد مررت بقصتين فى مصر وفى كل واحدة كنت أتألم فى النهاية .. فهل سأبحث عن قصة جديدة وسط الغربة والوحدة والعمل الشاق ؛ لأحصل على درجة الدكتوراه التى كنت أحلم بها ..

وتتنهد فى ارتياح .. ها هو كما تركته .. لم يحب أخرى .. ولم ينسها ..

و ... تشعر بحيرة وارتباك .. تتمنى لو لم تجمعها به هذه المصادفة .. التى جعلتها تعود للحيرة وهى لا تعرف .. ماذا ستفعل ؟!

لقد أتت إلى الإسكندرية وإحساس داخلها يقول لها أن (أحمد) سيعود للإسكندرية .. أهو كان دفعة من القدر لها لتقابل (هشام) لتعرف حقيقة ما رأته وما سمعته ؛ لتعرف أنها كانت مخطئة حين اتهمته بالغدر والخيانة .. وأنها فقدت حب حياتها الوحيد بتسرعها وسوء فهمها و ... تصل السيارة إلى بيت خالتها .. تستقبلها خالتها بفرحة شديدة وتحتضنها فى شوق فهى لم ترها منذ العام الماضى ، إنها المرة الأولى لها أن تأتى إلى الإسكندرية بعد وفاة (سلمى) وتسألها (ندى) :

أين (وليد) و (مروة) ؟! ألا يعلمان بمجيئى .. إننى أفتقدهما كثيراً ، وتخرج (مروة) من حجرة الصالون، وهى تقول ضاحكة :

ـ أنا هنا يا (ندى) ..

وتقترب من (ندى) ولكن لا لتحضنها أو تقبلها بل لتقول لها فى ابتسامة حلوة :

ـ نحن نعد لك مفاجأة فى الصالون ..

وتأخذها من يدها لترى من ينتظرها فى الصالون ..

سألت (مروة) والدتها بعد خروجهما :

ـ لماذا رفضتى يا أمى أن أخرج معهما .. لقد اعتدنا ذلك دوماً ؟!

تقول الأم مبتسمة :

ـ لا شك أن لديهما الكثير من الحديث والذكريات .. ووجودك معهما قد لا يعطيهما الفرصة للحديث ..

تنظر الفتاة إلى أمها فى شك وريبة ، وتقول لها :

ـ أماه .. أنت تعرفين شيئاً لا أعرفه ؟

تضحك الأم قائلة :

ـ نعم . . وماذا فى ذلك ؟ فقط ادعى الله أن يتمم كل شىء على ما يرام . .

تقول (مروة) فى فرح :

ـ إنه حدث سعيد . . دعينى أخمن . . (أحمد) سيطلب يد (ندى) . .

تومئ الأم لها فى صمت وتكمل (مروة) حديثها :

ـ من أجل هذا انتظر أسبوعًا كاملاً فى الإسكندرية حتى أتت . . لماذا لم يسافر إلى القاهرة ؛ ليحدثها هناك ؟

تتنهد الأم فى أسف :

ـ لم يعد له شىء فى القاهرة يا (مروة) بعد رحيل أخته . . كما إنه أراد أن يبدو الأمر مفاجأة لـ (ندى) و . . .

وتقطع الأم حديثها وتقول فى جدية :

ـ لماذا تتحدثين فى مثل تلك الأمور . . لازلت صغيرة على هذه الأشياء . .

هيا اذهبى إلى حجرتك لتستذكرى دروسك . .

تبتسم الفتاة وتتحول ابتسامتها لضحكة مع حديث والدتها عن الاستذكار ، وتقول :

ـ أماه . . لقد انتهت الدراسة والامتحانات .

☆ ☆ ☆

كان ذهنها مشغولاً بها . . بـ (ندى) . . ترى هل توافق على طلب (أحمد) ؟

لقد عاد منذ أسبوع . . وكان أول ما فعله أن اتصل بخالتها يسأل عنها . . وعندما أخبرته أنها ستأتى الأسبوع القادم . . فرح كثيرًا وقبل أن يدق جرس الباب بدقائق كان قد حدثها بنيته فى الارتباط بـ (ندى) وأنه عاد من سفره من أجلها ، وتشعر الخالة فى حديثه . . بحبه لها . .

ولكن . .

رغم تلك اللهفة التى قابلته (ندى) بها والسعادة والفرحة التى نطقت ملامحها بها . . ما زالت الخالة حائرة ترى . . هلى ستوافق (ندى) ؟

☆ ☆ ☆

ـ لماذا رحلت ؟

ـ لم أحتمل أن أراك وأنت تنهارين أمام عينىَّ . .

كنت أحتاج لوجودك بعد رحيلها . .

ـ أنا أيضًا كنت أحتاج لوجود إنسان قريب من قلبى إلى جوارى . . ولكننى لم أحتمل أن أراك فى المستشفى بعد أن رحلت (سلمى) بها . .

ـ (سلمى) . . ستظل أحلى شىء فى حياتى كلها . .

وتسأله :

كيف كانت حياتك بدونها ؟

ـ حياتى . . وهل فى الغربة حياة . . فى الغربة لا شىء يؤنس وحدتك إلا الذكريات ، وأنا لا أملك إلا ذكريات مؤلمة . . أعود من عملى لأجد أبى ينتظرنى فى لهفة فهو أيضًا الوحدة تقتله . . ونقضى الوقت فى الحديث ، ومعظمه عن (سلمى) ، وأشفق عليه مما أفعله به . . وأنا أحيط وحدته بغربة لتزيد من عذابه . . وقررت أن أعود من أجله ، ولكن قبل ذلك كنت قد قررت أن أحجز له فى إحدى الشركات ليقوم بفريضة الحج . . وقمنا بها معًا وهناك حدثنى عن أنه يتمنى لى

السعادة ويتمنى لو يفرح بى . . ربما لو فعلت لأزال ذلك جزءًا من همه وحزنه على (سلمى) ، و . . . ها قد عُدت يا (ندى) . .

من أجله ؟!

ـ بل من أجلنا . .

تنظر إليه فى تساؤل فيقول :

ـ (ندى) . . أنا أعرف كم أنك لازلت حزينة من أجل فراق (سلمى) وأنا أيضًا . . ولكنى أيضًا أريد أن أذهب ولو جزء من حزن أبى . . أريد أن أدخل بعض البهجة على قلبه ، ويصمت لحظات ثم يقول :

ـ (ندى) كلماتى لك هذه تأجلت كثيرًا . . ربما الظروف . . ربما خجلى . . ولكننى لن أسمح لشىء بعد ذلك أن يحول بيني وبينك . . (ندى) هل تقبلين الزواج منى ؟!

انتظرتها خالتها حتى تعود . . وما إن عادت حتى أجلستها خالتها إلى جوارها وسألتها :

كيف كان وقتكما ؟!

تقول باسمة :

ـ كان وقتاً ممتعاً لقد ذهبنا إلى نفس المكان الذى كنا نذهب إليـه مع (سلمى) ، وروى لى عن سفره وعمله هناك فى الإمارات و . . .

تتردد قليلاً ثم تقول :

ـ وطلب منى أن أفكر فى أمر زواجنا ؟!

ـ تفكرين ؟! لماذا تقولينها هكذا ؟ وكأنـه أمر مقرر من قبل . .

وتنظر إليها فى اهتمام وتسألها :

ـ أكان بينكما اتفاق على شىء كهذا من قبل ؟

ـ لا . . إنه يحدثنى فى هذا الأمر لأول مرة اليوم . .

ـ لماذا إذن لا أراك سعيدة مبتهجة ككل فتاة فى موقفك . .

ـ إنه التعب والإرهاق لقد سافرت اليوم وعدت لأخرج مع (أحـمـد) . . إننى بلا شك أحتاج للنوم الآن . . تصبحين على خير يا خالتى . .

وتتجه إلى الحجرة التى أعدتها خالتها لها ، وهى حجرة ابنتها الكبرى التى تزوجت من أعوام ثلاثة وتفتحها للضيوف فقط ولابنتها عندما تعود من سفرها مع زوجها كل عام وتتنهد الخالة . . ماذا بك يا (ندى) ؟!

لماذا تلك الحيرة التى ترفضين الاعتراف بها ؟!

لماذا لم يسعدك طلب (أحمد) ؟!

☆ ☆ ☆

يوم آخر مؤلم فى حياتها . .

ها هى تودع اليوم (هشام) وتلتقى بـ (أحمد) فى نفس اليوم . .

وكأن القدر يخيرها . .

ولكن هل هى تملك أن تختار ؟ . .

لقد اختارت منذ تلك اللحظة التى ودعت فيها (سلمى) . .

لقد اختارت منذ تلك اللحظة التى ودعت فيها (هشام) . .

لقد اختارت أن تسير كما كتب لها القدر . .

☆ ☆ ☆

السادس والعشرون من يوليو
الإسكندرية ـ الحادية عشر صباحاً

كانت ابتسامتها الحلوة لا تفارقها ، وصوت ضحكتها يوحى لمن يراها بأنها إنسانة تعيش أسعد لحظات حياتها وأكثرها مرحاً ، جميعًا يعتقدون ذلك ، ويقولون إن (ندى) تعود للحياة من جديد بعد أن تمت خطبتها لـ (أحمد) البعض ظن حزنها وانطواءها من قبل كان بسبب سفره ، البعض ظن أن قصة حب قد جمعت بينهما من قبل ذلك بكثير ، ولكنهما انتظرا وقت طويل يمر بعد وفاة (سلمى) ليعلنا هذا الحب . .

ومن كل من أتوا للإسكندرية لحضور حفل خطبتها ، كان (شريف) وحده من يلمح تلك النظرة الحزينة التى تلمع بها عيناها من حين لآخر ، ويشعر بشيء من الحيرة فى ملامحها ، شيء لا يجعله يصدق ما يسمعه ، فهو يشعر بها . . يعرف كيف يقرأ ملامحها حتى وهى تتظاهر بغير ما تشعر ، وتمر أيام بعد خطبتها تجمعه بها أوقات كثيرة ليتأكد لديه هذا الإحساس ، وها هى تجلس الآن وحدها تنظر إلى الشاطئ نظرة شاردة حائرة . . ويقترب منها ويحييها فتدعوه للجلوس فيسألها :

ـ (ندى) هل أنتِ سعيدة ؟!

فاجأها سؤاله وأربكها . . كانت تتوقع منه أى سؤال إلا ذلك السؤال ، فتسأله فى دهشة :

ـ لماذ هذا السؤال يا (شريف) ؟

ـ أنا أريد إجابته فأنا أعرفها . . إننى فقط أود أن تسألينه لنفسك . . ويصمت كلاهما وتشعر هى بارتباكها وأنه يزيد من حصار نظراته المتسائلة لها ، فيبعد بصره عنها ويلتفت إلى البحر ويحدثها كأنه يحدث نفسه :

ـ أتعرفين لماذا أسألك هذا السؤال ؟ لأننى رفضت أن أكون مثله مثل (أحمد) ، أدفع فاتورة سعادتى من حساب ورصيد الماضى والذكريات ، ويلتفت لـ (ندى) ليراها تتطلع إليه فى اهتمام وربما فضول ، هى أول مرة يتحدث فيها معها عن نفسه وبمثل هذا الأسلوب ولا تدهشه نظرتها ، فيكمل حديثه :

ـ ربما تندهشين من حديثى لك . . ولكننى أرى أنه أنت بالذات يجب أن تستمعى له . . منذ عدة سنوات وأنا بعد طالب فى الجامعة . . أحببتها . . إنسانة رقيقة مهذبة ملاك على الأرض ينشر البشرَ والسعادة حوله . .

رقتها فى التعامل معى .. وصوتها الناعم الساحر .. كل ذلك جعلنى أبنى أحلامًا فى الخيال .. وعندما أقرر أن أصارحها بحبى .. ترحل عن عالمنا .. ترحل تاركة لى أحلى حب وأحلى أيام ، وتمر سنوات لأراها ثانية .. أراها فيـ ..

ويرتبك عند عبارته الأخيرة .. كان على وشك أن ينطقها .. فيك يا (ندى) .. ولكنه يتنبه لهذا وهو يعود ليتحدث قائلاً :

ـ وأراها فى إنسانة أخرى .. أرى نفس الروح .. نفس الملامح والرقة والملائكية وأهيم حبًا بها .. حينما مرضت كنت أتعذب كل يوم من أجلها أخشى أن أفقدها كما فقدتها من قبل .. و ...

يتنهد فى عمق ، ويقول :

ـ ولازالت حتى الآن تحيا فى عالمى .. تتحرك حولى .. أرى فيها حبيبتى الراحلة .. فكرت كثيرًا أن أحدثها بمشاعرى نحوها ، ولكننى توقفت عندَ سؤال واحد .. حتى لو أنها أجابتنى بقبول مشاعرى هذه بل وبادلتنى إياها ، هل سأكون سعيدًا ؟! وحتى لو كنت .. هل ستسعد هى لو عرفت أننى أحبها لأنها صورة منها ؟ أحبها لأننى أرى فيها الماضى الذى أحبه ..

ويلتفت إليها بنظرة نافذة وواثقة ، وهو يقول :

ـ الحب لا يعيش على الذكريات يا (ندى) .. الحب ماضى وحاضر ومستقبل ..

وينهض قائلاً :

ـ أعتقد أن (أحمد) على وشك المجىء الآن .. أستأذنك ..

ويتركها وحدها .. وينصرف .. يغادر الشاطئ كله .. وتبقى هى .. لقد فهمت رسالته لها .. ولكن .. (أحمد) يحبها هى ؟؟ هى واثقة من هذا ؟!

« وو ... هى !! » .

وتعود إليها حيرتها من جديد .. تتذكر الأيام السابقة .. حين أجابت (أحمد) بقبول خطبته لها ، ولا تكاد تمر أيام حتى يقدم لها خاتم الخطبة فى حفل صغير حضره والده ووالدها وبعض الأصدقاء وأسرة خالتها .. واتفقا على أن يكون هناك حفل كبير عند عودتهما للقاهرة .. وتمر أيام .. تستعيد فيها كل ذكرياتها مع (سلمى) .. أو رؤية (أحمد) تذكرها بها .. وكأن روحها تطوف بها ولكن هل هى سعيدة ؟!

ولكى تعثر على إجابة هذا السؤال .. تعود حيرتها إليها .. ولا تجد سوى أن تهرب منه ، وها هى ترى (أحمد) يأتى من بعيد .. ويشير لها بيده .. فترد إشارته .. ولا تعرف .. لماذا تذكرت (هشام) الآن ؟؟

لماذا سألت نفسها .. أكانت ستستقبل قدومه لها بنفس تلك الروح الهادئة ، وتتذكر حين فارقته فى المحطة .. شعرت أنها تشتاق إليه فى اللحظة التالية و ..

و .. « لا تنس وعدك لـ (سلمى) » .

صوت يعلو داخلها .. ويحارب حيرتها هذه داخلها .. وينتصر عليها .

☆ ☆ ☆

« لماذا اخترت ذلك المكان الهادئ لنتناول فيه عشاءنا » .

سألته فى اهتمام :

ـ هل أعجبك ؟

ـ جداً .. منذ متى وأنت تعرفينه ..

ـ إنها أول مرة أزوره اليوم ..

ـ كيف إذن عرفت هذا المكان وما يقدمه من أصناف ..

أربكها سؤاله ..

وقالت كاذبة :

ـ خالتى حدثتنى عنه ..

لماذا تكذب ؟؟ بل لماذا أتت إلى هنا ؟!

من أجله .. (هشام) .. لقد جمعتها به مصادفة .. وها هى تبحث عن الثانية .. هو من حدثها عن هذا المطعم وأصناف الطعام التى يحبها فيه ، وها هى تبحث عنه فى وجوه الحاضرين .. وتسأل نفسها : ترى هل سافر ؟! هل عاد إلى القاهرة ؟! ويلاحظ (أحمد) شرودها ، ويسألها فيم تفكرين ؟؟

ومرة أخرى يربكها سؤاله .. وقبل أن تجيب كان هو قد نهض قائلاً :

ـ لحظات يا (ندى) وسأعود .. يجب أن أتصل بأبى لأذكره بموعد الدواء فلقد صار كثير النسيان ..

وتعود من جديد تبحث عن وجهه .. ولا تجده ..

وتيأس من أن تراه وتعود لاستكمال تناول طعامها وبعد لحظات تسمع صوته ، وهو يقول فى فرحة :

ـ (ندى)

☆ ☆ ☆

ترفع بصرها إليه غير مصدقة أنها من جديد تراه . . من جديد تحتضن عيناها ملامحه ، وترى تلك اللهفة المطلة عليها والابتسامة الصغيرة . . ولا تجد كلمة واحدة تنطق بها وكل كيانها قد نطق بالفرحة لرؤيته ، ويقول وهو يمد يده ليصافحها :

ـ أتسمين هذه المرة أيضًا مصادفة أو قدرًا ؟

وتمد يدها لتصافحه ولكن يده تتوقف مع عبارته :

ـ هل خطبت يا ندى ؟!

وتعيد يدها إلى جوارها . . وهى تدارى خاتم الخطبة بحركة تلقائية وتقول :

ـ نعم لقد التقيت بـ (أحمد) هنا و . . .

تراه يقترب وما إن يرى (هشام) حتى يقول فى لهجة جافة :

فلتتفضل يا دكتور (هشام) . . تناول معنا العشاء . .

يلتفت (هشام) إليه فلقد كان يقف وراءه ، ويقول :

أشكرك ومبارك لكما . .

ودون أن يلتفت لـ (ندى) يغادر المطعم وعينا (ندى) تتابعانه . . و . . .

« (ندى) ألن ننصرف ؟ كفى هذا اليوم . . » .

وتنتبه إلى وجوده . . تخجل من كل الذى حدث . . إنه حتمًا رأى تلك الفرحة فى عينيها ، وهى تلقاه ودون أن تنطق بشىء لتسير إلى جواره صامتة . .

☆ ☆ ☆

تشعر بأن قلبها معه . . مع (هشام) . . ورغم ذلك تشعر بمدى غضب (أحمد) وحزنه تحزن لمفارقة (هشام) وتتألم لما فعلته بـ (أحمد) . . وتحتار ما الذى يجب أن تفعله . . وتراه . . من جديد تلتقى عيناهما . . كان يبدو وكأنه فكر فى العودة ثانية لنفس المطعم . . فها هو يسير فى الاتجاه المعاكس لها . . فى حديقة للمطعم رغم أنه غادره منذ لحظات ترى لماذا عاد ؟!

وما إن تلتقى عيناهما . . حتى يلتفت إلى الناحية الأخرى . . و (أحمد) يسير إلى جوارها ناظرًا إلى الأرض . . ويعبر (هشام) الشارع فى سرعة للناحية الأخرى وتتابعه (ندى) ببصرها . . ثم تصرخ فى فزع (هشام) وتسقط فاقدة الوعى . .

أفاقت لتجد نفسها فى غرفة استقبال بمستشفى أو عيادة . . ترقد على فراش أبيض نظيف ، وتسيطر على

المكان رائحة الدواء .. وتنظر حولها لا تجد سواها تلك الممرضة الصغيرة تسألها :

- أين أنا ؟

فتجيبها .. أنت فى مستشفى (دكتور وجيه) .. لقد فقدت وعيك بالشارع بالقرب من المستشفى ، ولقد نقلوك إلى هنا .. ولقد أسعفناك بسرعة وها أنت تستعيدين وعيك ..

وتتذكر (ندى) ما حدث .. كانت لحظات فظيعة .. وهى تسير إلى جوار (أحمد) الذى ينظر إلى الأرض شاردًا .. وهى تتابع (هشام) ببصرها على بعد خطوات أمامها يعبر الشارع فى سرعة كى يهرب من أن يلقاها مرة ثانية هى و (أحمد) .. ولا ينتبه إلى السيارة المسرعة فى اتجاهه وتصرخ باسمه .. هذا آخر ما تذكره ، وتسأل الممرضة:

- هل حدثت حادثة اصطدام فى نفس الوقت الذى نقلونى فيه لهنا ..

تجيبها الممرضة ، وهى تمسك بيدها لتطمئن على نبضها :

- لا يا سيدتى .. لم ...

وقبل أن تكمل عبارتها كان (أحمد) قد دخل الحجرة ، وهو يقول لها بعد انصراف الممرضة :

- اطمئنى يا (ندى) .. لم يحدث أى شىء لـ (هشام) .. صرختك حذرته ..

كانت كل كلمة ينطق بها .. تقطر حزنًا وألمًا .. وتعتدل فى رقدتها وتقول فى رجاء :

- (أحمد) إننى ...

يقاطعها قائلاً ، وهو يحاول أن يبتسم :

- أنت ماذا يا (ندى) ؟ لقد حاولت .. حاولت أن تكونى سعيدة معى .. ولكنك فشلت ..

- (أحمد) أرجوك لا تتسرع مرة ثانية وتتركنى ..

- لن أرحل يا (ندى) .. لن أهرب ثانية .. من اليوم سأواجه .. ربما كنت واجهتك منذ أول لحظة شعرت فيها بحبى لك لم نكن لنصل الآن لتلك النهاية وأنت أيضًا يجب أن تواجهى نفسك .. وتقاومى حيرتك وترددك ما بين الماضى والمستقبل .. الحب .. أو الحيرة ..

ويخلع خاتم الخطبة من يده ويمسك به وينصرف . .

تحاول أن تنادى باسمه . . ثم لا تفعل وهى ترى (هشام) يدخل الحجرة ويقترب من فراشها ويقف صامتًا أمامها ، وتحدثه هى :

ـ لقد رحل (أحمد) من جديد . . مرة ثانية سيهرب بسببى . . هو حدثنى بأنه سافر من قبل هربًا من حبه لى و . . .

ويقول لها (هشام) :

ـ هو لن يهرب من جديد يا (ندى) إنه يبدأ . . يبدأ حياة . . يعرف فيها أنه له مكان فى حياتك . . أما قلبك فهو ملك لغيره . .

تقول فى ألم :

ـ لقد عذبته . .

فيقول مبتسمًا :

ـ بل خلصتيه من عذاب كان سيعيشه كل يوم . . وكل ثانية وهو يراك تتظاهرين بالسعادة وأنت لا تشعرين بها معه . .

تسأله فى حيرة :

ـ هل سيغفر لى ؟

يمسك بيدها ويقول :

ـ سيفعل . . لأنه يعرف (ندى) . . يعرف أنها أبدًا لم تقصد أن تجرحه . .

وتتذكر (سلمى) . . تتذكر وعدها لها قبل وفاتها . . وتتذكر أنها تخلت عن (أحمد) بدلاً من أن تقف إلى جواره . . ولكن ماذا تفعل ؟! وهو الذى قرر أن يخرج من حياتها ؟!

وتطل من عينيها حيرة وألم . . وينظر إليها (هشام) قائلاً :

ـ (ندى) . . ألن تهجرى حيرتك هذه وتعيشى بلا حيرة . . بلا ألم . . من أجل حبنا ؟

ـ حبنا !!

ومع كلمته . . تعود إليها ذكريات سنوات مضت . . وتعود لهفتها عليه لتملأ كل حواسها ، وتشتاق أن يأخذها بين ذراعيه لتبكى وتبكى . . وتنفض عنها حيرتها وآلامها . .

ويربت على يدها ، وهو يقول :

ـ هيا يا (ندى) .. لا تنسى أن (أحمد) فعل ذلك من أجلك ..

تسأله فى تردد :

ـ هل سألك عن شىء ؟!

يومئ برأسه :

ـ نعم .. ولم أخبـره أنك كنت تعـرفين بعـودتى وبرجوعى .. لم أخبره عن المصادفة التى جمعتنا .. ولكنه هو الذى حدثنى ، ولقد اقتنعت بما قالْ .. وبقى لك أن تقتنعى بأن الحب ليس وعدًا يجب أن نفى به .. الحب هو قدرنا ..

تتنهد قائلة :

ـ نعم قدرنا .. ويبدو أنه قدرنا معًا ..

وتبـتسم لـه وتنهض من الفـراش .. لتسيـر إلى جـواره وهـى تحلم بحـياة .. بـلا ماضٍ مؤلم .. بلا حيرة .. بلا وحدة .. بلا عذاب ..

☆ ☆ ☆

[تمت بحمد اللّه]

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة :

1 ـ من أجلك .
2 ـ لا تقل وداعًا .
3 ـ قلوب لا تنبض .
4 ـ الدموع الباردة .
5 ـ هى فى حياتى .
6 ـ ياقلب لا تغفر .
7 ـ النبع الجاف .
8 ـ طيور بلا أجنحة .
9 ـ رسالة حب .
10 ـ لعبة القدر .
11 ـ العصفور الجريح .
12 ـ أشجار الحب .
13 ـ رحلة قلب .
14 ـ شمس الليل .
15 ـ الحب بلا أرقام .
16 ـ لقاء الحب .
17 ـ المرآة السوداء .
18 ـ حب وكراهية .
19 ـ وذاب الجليد .
20 ـ حب وسط النيران .
21 ـ دموع كيوبيد .
22 ـ أوهام الحب .
23 ـ نداء قلبى .
24 ـ حذار من الحب .
25 ـ الموعد .
26 ـ وداعًا يا حبى .
27 ـ حبى المعذب .
28 ـ لك قلبى .
29 ـ الحلم .
30 ـ زوجى .
31 ـ الحب والمعجزة .
32 ـ وداعًا للماضى .
33 ـ طائر غريب .
34 ـ هذا الرجل .
35 ـ التقينا من جديد .
36 ـ نسمة الصباح .
37 ـ لن أعود .
38 ـ الشريكان .
39 ـ أنت قدرى .
40 ـ بلا أمل .
41 ـ أحلام ضائعة .
42 ـ أبى الحبيب .
43 ـ الحاجز .
44 ـ لن أنساك .
45 ـ ستبقى فى قلبى .
46 ـ أحببتك فى صمت .
47 ـ رجل وقلبان .
48 ـ الحب الجريح .
49 ـ الحب والاختيار .
50 ـ وابتسمت الحياة .
51 ـ اللقاء الأخير .
52 ـ عودة الغائب .
53 ـ أمواج الحب .
54 ـ معك دائمًا .
55 ـ اغفر لى .
56 ـ لقاء فى الغروب .
57 ـ جدار الماضى .
58 ـ لأنى أحبك .
59 ـ الأسيرة .
60 ـ مرحبًا بالحب .
61 ـ شمعة لا تنطفئ .
62 ـ لا ترحلى .
63 ـ لمسة حب .
64 ـ الصديقتان .
65 ـ الوجه الدميم .
66 ـ خفقات قلب .
67 ـ جراح الماضى .
68 ـ حبيبتى الوحيدة
69 ـ آلام الحب .
70 ـ كفانا عنادًا .
71 ـ رجل أحببته .
72 ـ نبع الحب .
73 ـ مشاعر دافئة .
74 ـ أشواك الحب .
75 ـ لن أبكى .
76 ـ قلوب حائرة .
77 ـ وداعًا للأبد .
78 ـ فتاة جميلة .
79 ـ قسوة وغفران .
80 ـ ليس من أجلى .
81 ـ سحابة صيف .
82 ـ زهرة برية .
83 ـ زهرتى الجميلة .
84 ـ ابتسامة القدر .
85 ـ لعبة الزمن .
86 ـ شاطئ الأمان .
87 ـ فجر جديد .
88 ـ حب وحرمان .
89 ـ ليل ونهار .
90 ـ سأنتظرك دائمًا .
91 ـ بعد الانتظار .
92 ـ حب بلا موعد .
93 ـ زواج العمر .
94 ـ القرار الصعب .
95 ـ معنى السكوت .
96 ـ يارا .
97 ـ اغفر يا قلب .
98 ـ الحائرة .

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى





السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

هدى عبد الحليم أحمد

الحائرة

حين ودعت

هشام ، وودعت معه أحلامها

ظلت حائرة هل حقًا خانها ؟

وحين التقت به .. عاد أحمد إلى حياتها

ومعه ذكرياتها فتعيش حيرتها من جديد

ما بين أحلام الحب وعطر

الذكريات

98

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر ٢٥٠ قـرش
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع

